

بول بولز

يوميّات طنجة

(1987 - 1989)

ترجمها وقدَّم لها: إبراهيم الخطيب

«يوميّات طنجة»



يُوزَّع مجّاناً مع العدد (115) من مجلّة «الدوحة» - مايو - 2017

عنوان الكتاب: **يوميّات طنجة**

المؤلِّف: **پول پولز**
المترجم: **إبراهيم الخطيب**

الناشر:
وزارة الثّقافة والرياضة - دولة قطر
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: 2017 / 121
الترقيم الدولي (ردمك): 7 / 63 / 122 / 9927 / 978 / ISBN

العمل الفني للغلاف: صورة للكاتب بول پولز
الإخراج والتصميم: القسم الفَنّي - مجلّة الدوحة

پول پولز

يوميّات طنجة

(1987 - 1989)

ترجمها وقدَّم لها

إبراهيم الخطيب

(العنوان الأصلي للكتاب)

Days: a Tangier Diary

كتاب الدوحة

مقدمة

يعكس كتاب «يوميّات طنجة» (1987 - 1989) حياة الكاتب الأميركي «پول پولز»، في مدينة البوغاز، خلال السنتين المذكورتين، أي عشر سنوات قبل رحيله (1999). يتعلَّق الأمر بيوميّات تصوِّر معيشه اليومي، وعلاقاته، وصداقاته، وردود أفعاله، ومشاكله مع ناشري إنتاجه، وهواجسه الصحِّيّة. لقد حلّ «پول پولز» في طنجة، لأوَّل مرّة، في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، نزولاً عند نصيحة «جيرترود ستاين» التي سبق لها أن زارت المدينة، وأعجبت بمناخها. كانت زيارة «پولز»، حينئذ، عابرة، لكن مجيئه للإقامة في طنجة إنما حدث في أواسط الأربعينيات، قبل أن تلتحق به زوجته «جين آور- پولز». تنقَّل الزوجان بين عدّة مساكن في المدينة القديمة (حيّ أمراح، مثلاً)، إلى أن استقرّ بهما المقام على هضبة مرشان. لقد كانت طنجة، في ذلك الوقت، جذّابة وهادئة، ولا يتعدَّى عدد سكانها 60000 نسمة، غير أنها، بعد فقدان صفتها «منطقة دولية» (1960)، عرفت تحوُّلات عميقة أثَّرت في صورتها القديمة في عينَيْ «پول پولز»، وخاصّة بعد مغادرة العديد من أصدقائه لها، أو وفاتهم ودفنهم في إحدى مقابرها.

دوَّن الكاتب الأميركي يوميّاته المذكورة في حجرة نومه، في الطابق الأخير

من عمارة «إيتيسا»، وكانت جارته السيِّدة «باڤي جونسن»، وهي رسّامة، تقيم في الطابق السفلي. وكان پول پولز يعتمد، في تدبير معيشه اليومي، على كلٍّ من محمَّد المرابط، وعبد الواحد بولعيش، وعبد الوهاب، ورحمة. يتكفَّل محمَّد المرابط وعبد الوهاب بالتسوُّق وإعداد الفطور والغداء والعشاء، وكذا إيقاد المدفأة في أيّام الزمهرير، ويعمل عبد الواحد بولعيش سائقاً لسيّارة پولز، وهي من نوع «فورد موستانغ»، حيث يقوم بنقله إلى مكتب البريد أو القنصلية الفرنسية، و- أحياناً- إلى المستشفى، فضلاً عن نقله للقيام بجولاته على الشاطئ. أمّا رحمة فتقوم بتنظيف الشقّة. وإذاكان «پولز» لا يبدي أيّة ملاحظات على سلوك بولعيش، عدا كثرة «حكاياته المليئة بالكنوز»، فإنه كان ينزعج من حدّة مزاج المرابط، وعنف خصامه، وبذاءة سبابه. في مقابل ذلك، كان يكنّ ودّاً بيّناً لعبد الوهاب، إلى درجة أنه تأثَّر لذهابه للإقامة، بصفة دائمة، في هولاندا.

لم يكن «پولز» يتردَّد في مغادرة شقّته، بين حين وآخر، لترويض ساقيه، عن طريق المشي على كورنيش «مرقالة» مصطحباً- في غالب الأحيان- سائقه. كان يعاني من تصلُّب في ربلة الساق، كما كان يعاني من فتق، ومن انحباس الصوت، أحياناً، فكانت جارته «باڤي جونسن» تنصحه بإجراء فحوص، بالأشعة السينية، للحنجرة. وعندما أجريت له عملية على العصب الوُدّي، نصحه الطبيب بالمكوث في الفراش وعدم الحركة، مدّة من الزمن،وخلال ذلك كان پولز يتناول طعامه مندسّاً في فراشه، إلى أن نبَّهه عبد الواحد بولعيش إلى أن التعوُّد على هذا الوضع ليس صحِّياً بالنسبة إليه. وكان الكاتب يعتقد أن تقلُّبات الطقس مزعجة لصحَّته، كما كان يبدي استياءً من التغيُّرات التي عرفتها طنجة، على الصعيدين:

العمراني، والبيئي، ومن بيروقراطية بعض المؤسَّسات (البريد مثلاً) التي كانت وسيلته الوحيدة للاتِّصال بالخارج. مع ذلك، كان «پول پولز» حريصاً على البقاء في طنجة، متهيِّباً مغادرتها، بل كان يحاول التهرُّب- قدر المستطاع- من بعض الأسفار، متعلِّلاً بعدم رغبته في ركوب الطائرة.

كان الكاتب حريصاً- أيضاً- على عدم إغلاق باب شقَّته المتواضعة، في وجه زوّاره الكثيرين. لم يكن يملك هاتفاً ثابتاً؛ لذا كان يفتح الباب لكلّ الطارقين، سواء أكانوا فضوليِّين عابرين، غايتهم التعرُّف إليه، أم كانوا صحافيِّين يريدون إجراء حوارات معه، أو باحثين يعدّون أطروحات عن أدبه، أو كُتّاب سِيَر تتناول حياته، أو فرقاً تلفزية قَدِمت لتصوير أفلام وثائقية عنه. لقد استقبل، في هذا الصدد، فِرَقاً قادمة من عديد الدول الأوروبية، ومن أميركا. ورغم انزعاجه من بعض مطالبها، كان ينصاع، في النهاية، لها، مع ما يكلِّفه ذلك من مشقّة التنقُّل خارج البيت، في أوقات، قد لا يستسيغها، أحياناً. والملاحظ أن «پولز» كان يُسَرّ بزيارة كُتّاب أوموسيقيِّين له، في شقّته، مثل «رودريغو راي روسا»، و«باتريسيا هاسميث»، حيث يكون مزاجه رائقاً، لكن مزاجه كان معتكراً، تماماً، طيلة الأيّام التي استقبل فيها الكاتب الأميركي «كريستوفر- ساوير- لاوسانّو» الذي كان يُعِدّ سيرة له، يناقض تصوُّره لبعض مراحلها ما يتصوَّره «پولز» عن نفسه، أو ما يرفض أن يطَّلع الناس عليه من تصرُّفاته. كان مسروراً- أيضاً- لزيارة «ميك جاغر» من فرقة «الرولينغ ستونز» له، في أثناء قدوم هذا الأخير إلى طنجة بمعية فريق «BBC»؛ قصْدَ تصوير حفل موسيقي مع فرقة «جهجوكة»، وكذا لزيارة صديقيه: «فيليب رامي» و«كريزي كيت» اللذين كانا قد عادا من أميركا حاملَيْن

هدايا له، هي تسجيلات جديدة لبعض ألحانه القديمة. استقبل «پولز»- أيضاً- ناشرين يابانيين، وباحثين مغربيين من جامعة ليموج، في فرنسا، كما استقبل المخرج محمَّد ولاد محاند، الذي جاء لتصوير فيلم وثائقي عنه، عُرِض، فيما بعد، على قناة «Arte» الفرنسية الألمانية.

ورغم ميله إلى العزلة، كان «پول پولز» مندمجاً- إلى حَدّ ما- في مجتمع طنجة، من خلال علاقاته الحميمية بمساعديه، الذين كانوا يوجِّهون إليه الدعوة لحضور بعض احتفالاتهم، مثلما حدث مع محمَّد المرابط، الذي كان يقيم في بيته، كلّ سنة، حفلاً بمناسبة عيد ميلاد «پولز»، أو ما حدث مع عبد الوهاب الذي دعاه لحضور حفل زفافه، وكذا من خلال حرصه على حضور الحفلات الموسيقية أو مشاهدة الرقص الشعبي في الشارع العامّ. كانت لــ«پولز»- أيضاً- علاقة ببعض النابهين في المدينة، مثل للّا فاطمة الزهراء، كريمة السلطان مولاي عبد العزيز، أو ابنة أحد أمراء الكويت من عائلة الصباح، التي دعته لحضور حفل، أقامته في قصر لها يطلّ من مرتفع على المحيط الأطلسي، وأهدته، حينئذٍ، سلهاماً من وبر الإبل. وكان يلبّي دعوة بعض أصدقائه الأجانب المقيمين، بصورة دائمة أو جزئية، في طنجة وذلك لقضاء أمسيات نقاش مهنية معهم، أو لحضور حفلات عشاء في بعض المطاعم، حيث كان يواظب على طلب شريحة لحم عجل، أو يكتفي بعجّة بيض باردة.

بقي أن نشير إلى أن «يوميّات طنجة» لا تخلو، مع ذلك، من ملاحظات، مدارها بعض سلوكات المغاربة أو تصرُّفات السلطات المحلّيّة. هكذا، لاحظ «پول پولز»- بغَيْظ- أن دهاقنة العقار أطلقوا بولدوزيراتهم في بادية طنجة، حيث تَمَّ تدمير النباتات، وقطع الأشجار، وأن سكّان

الڤيلّات التي شُيِّدت حديثاً، هناك، يرمون قمامتهم في الخلاء، دون أيّ احترام للبيئة. لاحظ- أيضاً- أن العداء بين الجنسين يبدأ منذ الصغر، وذلك عندما شاهد، في الشارع، صبياناً يقذفون، بالحصى، موكباً نسائياً يعبِّر مَن فيه عن الفرحة بالنقر على الدفوف. وبخصوص شهر رمضان، انزعج «پولز» من حذف السلطات معزوفات الغيطة في الصوامع، وتعويض ضربة المدفع المؤذنة بانتهاء يوم الصيام بصفّارة إنذار، كما انزعج من بعض السلوكات التي تصدر عن الصائمين، والتي تتراوح بين العنف اللفظي والقتل العمد.

تلك هي- بإيجاز- بعض ملامح معيش «پول پولز»، في طنجة، إبان السنتين اللتين روى وقائعهما في يوميّاته. لقد بدا لي، من خلال ذلك، رجلاً منفتحاً؛ بحيث لم يكن يتردَّد في استقبال مَنْ شاء، رغم إدراكه بأن ذلك يقتنص من وجوده وعمله وقتاً ثميناً، كما كان متهيِّباً من حدوث تغيُّرات في مجرى أيّامه، حريصاً- مع ذلك- على التلاؤم معها أو الاستسلام لها، بمزاج زاهد. كان الكاتب مهتمّاً- أيضاً- بمسألة ترجمة أعماله إلى اللغتين: الفرنسية، والإسبانية، منزعجاً من بعض الترجمات التي لا تروقه، كما كان مهتمّاً باحتمال تصوير فيلم مقتبَس عن أحد أعماله الأدبية. لكن ما يثير الانتباه هو أنه، طيلة السنتين، لم يتحدَّث قط، عن انشغاله بالكتابة ما عدا مرَّتين؛ وعَد، في إحداهما، صديقاً له بوضع مقدِّمة لأحد كتبه، وقد فعل، وتساءل، في الثانية، عمّا إذا كان سيلبِّي رغبة «دانييل روندو» في الكتابة عن ذكرياته في حيّ «كي فولتير» في باريس، إبّان سنتَيْ 1931 و1932، وقد فعل.

ما يثير الانتباه- أيضاً- هو أن «پولز» لم يتحدَّث، في يوميّاته، بتاتاً، عن

محمّد شكري. والراجح هو أن ذلك لم يكن من قبيل السهو، بل كان ناتجاً عن تفاقم سوء العلاقة بينهما، منذ أواسط الثمانينيات، بسبب اتِّهام شكري، في حوارات صحافية للكاتب الأميركي بأنه كان يتصرَّف، بحرِّيّة، في مستحقّاته، من مبيعات كتبه الثلاثة، التي ترجمها إلى الإنجليزية، وهي: «الخبز الحافي»، و«جان جينيه في طنجة»، و«تينيسي وليامز في طنجة». بيد أن المثير، في هذا الصدد، هو أن «پولز» كتب في وصيَّته، التي أودعها لدى القنصلية الفرنسية في طنجة، أن يُمنَح شكري مبلغاً من المال، يعادل 1500 دولاراً أميركياً. فهل يُعَدّ هذا جبراً لخاطر هذا الأخير؟.

إبراهيم الخطيب

19 غشت (أغسطس/آب)

جوّ صحو. سرت راجلاً إلى شاطئ «مرقالة». ريح «شرقية» عنيفة تثير جبالاً من الغبار، طيلة الطريق. على الشاطئ، مئات من الأطفال الصغار، ولا أحد- تقريباً- من البالغين. كان الأطفال يسوط بعضهم بعضاً بسيور طحلبية. نتنفّس، باستمرار، رائحة «الواد» الحارّ الذي ينصبُّ في أقصى شرق الشاطئ. كانت للّا فاطمة الزهراء[1] مُحِقّة في منع ارتياد هذا المكان، من طرف العموم، قبل بضع سنوات. لكن ذلك حدث إبّان انتشار وباء الكوليرا. وصلت رسالة من باريس تخبرني بأن الناشر «Quai Voltaire» يرفض السماح لي بفحص التجارب المطبعية التي يودّ نشرها، مع أني لم أطلب، قطّ، مراجعتها. كنت أرغب، فقط، في قراءة الترجمة قبل تركيبها. لقد وصف مسؤولو «Quai Voltaire» طلبي بأنه[2] «légalisme excessif». «بافي جونسن»[3]، عثرت على الألفَيْ دولار، وعلى جواز سفرها اللذين كانا مدسوسَيْن في مكان ما من الشقّة.

---

(1) كريمة السلطان مولاي عبد العزيز (1926-2003).

(2) إفراط في تطبيق القانون.

(3) رسّامة وصديقة لفنّانين وكُتّاب، من أبرزهم «پول پولز»، و«ترومان كابوت»، و«لورانس داريل» إلخ..، وغيرهم. وُلِدت في نيويورك سنة 1912، وتوفّيت سنة 2006، عن سنّ تناهز 94 عاماً.

20 غشت

قمت بزيارتي الأخيرة إلى القنصلية، حيث سُلِّمتْ لي نسخة من وصيَّتي التي كانوا يحتفظون بها. شاحنات تذهب وتجيء أمام «الإقامة». بعد الزوال، زارني شخص اسمه م. الجباري، يُعِدّ أطروحة في جامعة السوربون. لقد تَمَّ رفض اقتراحه الأوَّل المعَنْوَن بـ«حياة پول پولز وأعماله»، وعندما عَنْوَن موضوعه بـ«الرعب والعنف في أعمال پول پولز» تَمَّ قبوله. أمر مثير للسخرية، حقّاً.

مرَّت «كلود توما»[1] بي، وهي غضبى من العقود الجديدة التي بعثها لها الناشر «Quai Voltaire»، قصدَ توقيعها. آمل ألّا تُغلِق الباب في وجهه، فترفض ترجمة كتبي الأخرى. لقد كتب إليّ الناشر «Bourgois» معلناً عن نيَّته في تكليفها بترجمة رسائل «جين پولز»[2].

25 غشت

غريب..َ كم هو صعب أمر تغذية الغيظ ورعايته، بعد تلاشي الفورة

(1) مترجمة فرنسية، قضت جزءاً من حياتها في أميركا، التقت «پول پولز»- لأوَّل مرّة- سنة 1973، وترجمت، إلى الفرنسية، روايتيه: «بيت العنكبوت»، و«الغابة الحمراء». نظَّمت، في طنجة، مئوية ميلاد «پولز»، سنة 2010.

(2) كاتبة أميركية، هي زوجة «پول پولز». وُلِدت في نيويورك سنة 1917، وقضت نحبها سنة 1973. اشتُهرت بروايتها «سيِّدتان جادّتان» (1943)، وكذا مسرحيَّتها «في منزل الصيف».

الأولى! منذ ثلاثة أيّام، يأتي «L»[1] لقضاء ما بعد الزوال هنا. مرَّتين أو ثلاث، في السنة، يصل قادماً من بوسطن، حيث يكتب هذه السيرة التي رفضتها قبل شروعه فيها. «Weidenfeld»[2] يعلم جيِّداً أنني لم أوافق عليها، ولقد كرَّرت لـ«L» أنني سوف لن أساعده في إنجازها، بأيّ حال من الأحوال. على الأقلّ، هو لا يضع عنّي أسئلة، وعندما أناقشه، يترسَّب لديّ انطباع بأنني أتحدَّث إلى طبيب، بعد أن يكون قد قال: «أجل، أنت مصاب بالسرطان» مضيفاً، للتوّ: «لكن، لنتحدَّث في أمر آخر». أتساءل عمّا إذا كان يحدس؛ كم أنا كاره احتقاره لرغباتي! على الأرجح، لا؛ فأنا لا أقول شيئاً، ولا أُظهِر شيئاً، وبعد كلّ ذلك لا أشعر، البتّة، بشيء.

29 غشت

ودَّعني «L» هذا الزوال. سيسافر غداً، ومن المؤكَّد أنه لم يتقدَّم في إعداد مشروعه أكثر ممّا فعل عند حلوله في طنجة. وخلال الزوالات الستّة، التي قضاها هنا، قام محمَّد المرابط[3] بالتحدُّث إليه دون انقطاع، تقريباً. أعتقد أن «L» سيكون مهيَّأً، من الآن فصاعداً، للكتابة عن محمَّد المرابط، أكثر من كتابته عن أيّ شخص آخر.

---

(1) إشارة إلى الكاتب «كريستوفير ساوير – لاوسانو». وُلِد سنة 1951 في سان ماتيو (كاليفورنيا)، وعُرف بتأليفه لسِيَر بعض الكتّاب، وخاصّة سيرة «پول پولز» «المتفرِّج اللامرئي» (1990). ترجم، إلى الإنجليزية، أعمال «فيديريكو غارسيا لوركا».

(2) ناشر بريطاني. وُلِد في فيينا (النمسا)، سنة 1919.

(3) راوية، ورسّام مغربي، يعيش في طنجة. وُلِد سنة 1936. اسمه الحقيقي محمَّد بن شعيب الحجّام. من مرويّاته، التي ترجمها «پول پولز» إلى الإنجليزية: «حب ببضع شعيرات»، «محشِّش» و«حبّة البرتقال».

1 شتنبر (سبتمبر/أيلول)

وكيل أعمال «جين پولز»، في نيويورك، أخبرني بأن جمعية المؤلِّفين الفرنسيين ترفض منحي أيّ حقّ على أعمال «جين»، ما دمت لم أوفِّر لهم وثائق تبرهن على أني وريثها الشرعي. يعود سبب كلّ هذه المشاكل إلى مسرحيَّتها «In The Summer House» بين عامَيْ (1953) و(1966). أمّا كتابها «Plain Pleasures» فقد مضى أمره بيسر، لكونه مجرَّد كتاب، عكس المسرحية التي تَمَّ بثّها. يبدو أن جمعية المؤلِّفين تعتقد أن الإذاعة والتلفزة تقومان بمراقبة دقيقة لملكيّة الأعمال المقدَّمة، لأن الأمر يتعلَّق بِرِهان على أموال كثيرة.

11 شتنبر

أخيراً، شاهدتُ الڤيلّا ذات الإصطبل، التي يملكها المرابط في «مغايغ». «خيريس» تسمِّي المكان «dchar chumbo»[1]. لقد اكتشفتُ- ليس دونما اندهاش- أنه أدمج المرفقين في مبنى واحد. «جان بيرنار»، الذي كان برفقتنا، اعتبر الأمر عادياً، مضيفاً أن الكثير من المباني، في فرنسا، قائم على هذا النحو. الأمر، هنا، لا يختلف، بطبيعة الحال. لكن، في مثل هذه المباني، يجب أن يكون الإصطبل في الأماكن النائية؛ فالحيوانات تصدر خواراً، وتثغو، وتنشر رائحة كريهة، وتجذب الذباب. لا يمكنني أن أعتقد أن المكان قابل للسكنى. وسوف لن تمكث «خيريس» هنا، مدّة

(1) «خيريس دي لا فرونتيرا». اسمها الحقيقي «Cherie Nutting». مصوِّرة فوتوغرافية. في عام 2000، نشرت كتاباً يحمل عنوان «عطر أمس: ذكريات حميمية عن پول پولز»، ويتألَّف من صور ومن نصوص لــ«پول پولز»، لم يسبق نشرها، ومن نصوص حوله، كتبها بعض أصدقائه.

طويلة، رغم ما تبديه، الآن، من حماس.

14 شتنبر

قرأت، هذه المرّة، أجوبة الاستبيان المنشور في صحيفة «Libération»[1] قبل سنتين: «لماذا تكتب؟» بحثاً عن الإجابة الأكثر تواتراً. قلّة من الكتّاب يفسِّرون ممارستهم لمهنتهم بأسباب مادِّيّة. الكثيرون منهم يعترفون بأنهم يجهلون السبب الذي جعلهم يكتبون، لكن غالبيتهم يجيبون بأنهم دُفِعوا للكتابة بقوّة باطنية، لم يكونوا يستطيعون مقاومتها. والأكثر تشكُّكاً، منهم، لا يتردَّدون في الاعتراف بأن رضاهم الرئيس ناتج عن الانطباع بأنهم سوف يتركون بعضاً من كيانهم وراءهم، يعني- بعبارة أخرى- أن الكتابة تبدو وكأنها تمنح نوعاً من الخلود، في حدّها الأدنى. كان يمكن لهذا الأمر أن يكون مفهوماً في القرن الماضي، عندما كان الاعتقاد سائداً بأن الحياة، على هذا الكوكب، سوف تستمرّ إلى ما لا نهاية. لكن، بما أن هذا التوقُّع صار مشكوكاً فيه، اليوم، فإن الرغبة في أن يترك المرء أثراً وراءه تبدو من قبيل العبث. وحتى لو نجح النوع الإنساني في البقاء خلال قرن آخر، فإنه من غير المحتمل أن تكون، لكتاب كُتِب سنة 1990، أهمِّيّة كبرى، بالنسبة إلى شخص يتصفَّحه سنة 2090، بشرط بديهي، هو أن يكون هذا الشخص قادراً على القراءة.

---

(1) صدر هذا العدد الخاصّ في مارس، 1985، وكان عنوان الملفّ: «لماذا تكتبون:الكتّاب يجيبون» وهو في 114 صفحة.

3 **أكتوبر** (تشرين الأوَّل)

أمس، جاء رجلان، من بنك (وفا)، لرؤيتي، حاملين رسالة من الدار البيضاء تطلب مني إعارة البنك رسمَيْن صغيرَيْن لأحمد اليعقوبي[1]؛ وذلك بغية عرضهما في معرض، يعتزمون تنظيمه هناك، في هذا الشهر. وعندما أجبتهما بأنني لا أملك أيّ رسم لليعقوبي، بل عندي لوحات زيتية، أخبراني بأنهما لا يريدان سوى الرسوم. وعوض أن أهزّ كتفيَّ قائلاً: «آسف جدًّا» أضفت بأنني أتوفَّر- فعلاً- على رسوم، لكنها سقطت وراء أحد الرفوف، في إحدى الحجرات، وأنني لا أتذكَّر في أيّة حجرة، ولا أيّ رفّ، وأنه ليس في نيّتي- تماماً- زحزحة تلك الأرفف، المثقلة بالكتب، عن مواضعها، للقيام بالبحث. كانت الفكرة التي خطرت لي سيِّئة، ذلك أن الرجلين تطوَّعا لإفراغ الأرفف من آلاف الكتب، وأنهما سيعودان مساءً للقيام بذلك. في هذه الأثناء، تحدَّثت إلى عبد الواحد[2]، والمرابط، اللذين نصحاني بألّا أترك نفسي نهباً لرغبتهما. سيتطلَّب الأمر، على أيّة حال، عدّة ساعات. لكنهما اتَّفقا على القول بأنه إذا تَمَّ العثور على تلك الرسوم، وخرجت من هنا، فسوف لن أراها، أبداً. عليَّ الآن، أن أواجه الرجلين الموفدين من بنك (وفا)، وأن أفسِّر لهما أن الأمر مستحيل.

الأكثر إزعاجاً من ذلك، هو أن فريقاً تابعاً للتلفزة البريطانية، فضلاً عن مقدِّمي برامج، سيصلون، بعد أسبوعين، لإجراء حوار معي. لاشيء أخشاه قدر خشيتي من ذلك، خاصّةً أن صوتي يزداد ضعفاً، رويداً رويداً. «باقي

(1) اسمه الكامل «أحمد بن إدريس اليعقوبي». وُلِد في فاس، سنة 1928، وتوفّي في نيويورك، سنة 1985، قبل أن ينقل جثمانه، برعاية الملك محمَّد السادس، إلى طنجة حيث دُفِن سنة 2003. التقى «پول پولز»، لأوَّل مرّة، في فاس، سنة 1947 .

(2) سائق سيارة «پول پولز»، ومساعده، اسمه الكامل عبد الواحد بولعيش.

«جونسن» مقتنعة بأنني أعاني من سرطان الحنجرة، وغاضبة لكوني أرفض إجراء أيّ فحص بواسطة الأشعّة السينية).

13 أكتوبر

كانت «جيرترود ستاين»[1] تقول: «عندما يموت يهودي، فهو ميِّت». مع ذلك، كانتا، هي و«أليس توكلاس»[2]، يهوديَّتين سيِّئتين. «ستاين»، كانت لها ميول إلى المسيحية العلموية؛ أمّا «توكلاس» فقد ارتدَّت- علانية- إلى كاثوليكية روما البابوية، في ختام حياتها. هل يمكن اعتبار ذلك تقهقراً من جانبهما؟.

16 أكتوبر

قبل خمسة وثلاثين عاماً، قال سعيد الكوش لـ«جين»، وكان يدرِّسها العربية: «لقد تلاشت كلّ مُتع طنجة». كان ذلك صحيحاً في تلك الفترة، لكن لا معنى له اليوم؛ فكلّ المباهج الماضية، لهذه المدينة، نُسيت منذ زمن بعيد. لقد تَمَّ إطلاق البولدوزيرات في البادية، وسُحقت النباتات سحقاً، وقُطعت الأشجار في كلّ مكان. وليس هذا بالأمر المدهش، فالضواحي لابدَّ أن تكون في موقع ما. لكن سكّان الفيلّات الجديدة واللامعة، في هذه الضواحي، يرمون نفاياتهم عبر النافذة، ويرسلون خادماتهم لإفراغ

(1) كاتبة أميركية (1874-1946)، من أشهر مؤلَّفاتها «سيرة أليس توكلاس الذاتية».
(2) صديقة «جيرترود ستاين» (1877-1967).

أوعية القمامة فوق ركام الأزبال، في الأرض الخلاء المجاورة.

عادت «بافي» إلى نيويورك.

28 أكتوبر

مساء أمس، عاد الفريق التلفزي إلى لندن، بعد قضاء أحد عشر يوماً في مغرب، بدون شمس. لم تزعجهم، في طنجة، سحبٌ ولا أمطار، لأنهما يوافقان- تماماً- طقس رواية «Let it come down» عام (1952). لكنهم كانوا يأملون في أن يجدوا، في فاس، جوّاً صحواً، وخاصّة في «تافيلالت»، حيث كانوا يرغبون في تصوير كثبان الرمال هناك. للأسف، كانت الصحراء رطبة ورمادية. (اليوم، الجوّ صحو، هنا).

31 أكتوبر

حوالي عشرين امرأة وفتاة كنّ يقصدن- ولاشكّ- حفلة عرس، أو التجوُّل في الشارع، وهنّ يضربن على الطبول. وكانت جماعة من الصبيان يتبعونهنّ ويرمونهنّ بالحجارة. العداء بين الجنسين يبدأ في وقت مبكِّر.

(لم يقصدن أيّ عرس، بل جلسن جميعاً على الأرض، في قمّة التلّ الذي يقابل نافذة غرفتي).

10 **نوفمبر** (تشرين الثاني)

يصوِّر مومن السميحي[1] «المرآة الكبرى- The great mirror» [2] منذ شهر. مساء أمس، مَرّ بي ليذكِّرني بأنه يرغب في أن نظهر، المرابط وأنا، في مشهد حانة، لكنه بادر إلى القول بأننا لن نكون مجرَّد ممثِّلين صامتين، بل هو يريد منّا أن نتجاذب أطراف الحديث. ذكّرته بأن حواراً من هذا النوع سيكون- حتماً- باللغة الإسبانية. اقترحت عليه استبـدال المرابط بـ «خيريس دي لافْرُونْتيرا»، وترك المرابط يجلس بين مغاربة آخرين. قَبِل السحيمي اقتراحي، قائلاً إنه سيمرّ بالفندق الذي تقيم به (خيريس) بعد أن يخرج من هنا. قال لي- أيضاً- بأنه سيكون عليَّ الذهاب إلى «المنزه» عند الساعة الثانية بعد الزوال. ذهبت، وجاءت «خيريس» بملابس السهرة، لكن «المنزه» كان مغلقاً، والبرد قارساً في الشارع. انتظرنا هناك إلى غاية الثالثة والنصف عصراً. بعد ذلك حملنا المرابط في السيّارة إلى هنا. وفي الساعة الرابعة، عدنا، أنا و«خيريس»، مشياً على الأقدام، إلى النادي الليلي الذي كان ما يزال مغلقاً، ودون أن يكون موجوداً هناك أيّ ممثِّل أو تقني. في الخامسة ونصف، رافقنا «غافان يونغ»[3] إلى المنزل، بالسيّارة. وبعد السادسة بقليل، جاء السميحي معتذراً، محاولاً إقناعي بالعودة، صحبته، إلى «المنزه» فرفضت. وعندما ذهب، تناولنا طعام العشاء، أنا و«خيريس».

مبعوثا بنك (وفا) جاءا لأخذ لوحة زيتية كبيرة لليعقوبي، قصد عرضها

(1) مخرج سينمائي مغربي، من مواليد طنجة، سنة 1945.

(2) قصّة محمَّد المرابط. ترجمها «پول پولز» إلى الإنجليزية، وصُوِّرت فيلماً، تحت عنوان «قفطان الحبّ»، سنة 1989.

(3) صحافي، ومراسل حربي، ورحّالة إنجليزي (1928-2001)، عاش في طنجة.

ضمن معرض سيقام في الدار البيضاء. وقال المرابط:

- هذه اللوحة سوف لن تراها، أبداً.

11 نوفمبر

يؤكِّد المرابط أنه كان يكفيه إلقاء نظرة داخل «المنزه» (وهو ما قام به خلال المساء)، ليدرك بأنه ما كان عليه القبول بالظهور في مشهد من ذلك القبيل. كلّ المغاربة الجالسين في النادي الليلي كانوا من صنف من يتعاطون الكحول، ويتردَّدون على المومسات: وهو لن يقبل، بأي ثمن كان، أن يُصوَّر صحبة هؤلاء.

15 نوفمبر

ذهبنا، «رودريغو راي روسا»[1] وأنا، أمس، إلى سوق فاس. لفت انتباهي إلى طبق فطْر في معرض خضروات، وقال لي:

- إنها تشبه- تماماً- ما نسمّيه نحن «San Isidros».

ثم واصل قائلاً، في حالة ما إذا كنت أجهل الموضوع، وكنت فعلاً أجهله:

- و«سان إيسيدروس»، هو فطر من نوع «Psilocybine».

---

(1) كاتب من غواتيمالا، وُلِد سنة 1958. من أبرز أعماله المترجمة إلى الفرنسية، لدى دار غاليمار: «أحجار مسحورة»، و«الصمّ»، و«الساحل الإفريقي».

كان منفعلاً جدّاً، لكون هذا الفطر يُستنبت في المغرب. فكَّرت في أنه إذا كان هذا المخدِّر موجوداً هنا، فالناس- لا محالة- سيعرفون ذلك، لكن من البديهي أنهم لا يشكّون في شيء غير عادي. ابتاع «رودريغو» فطراً، بدرهم واحد. إثر ذلك، وقبل العودة إلى منزله، قال لي بأنه سيترك الفطر منقوعاً في محلول الشاي. واليوم، جاء وعلى محيّاه علامة فوز:

- إنه «Hongos» نفسه، والذي يوجد في غواتيمالا هو عينه.

وأضاف أن للشراب طعماً عفناً، وأنه تركه صاحياً طوال الليل، منهمكاً في الكتابة، وليس في الهذيان. لا أكاد أصدِّق أن فطر «سيلوسيبين» يباع في السوق، دون أن يلاحظ امرؤ ذلك. السبب- ولاشكّ- هو أن المغاربة لا يشتهون أكل الفطر. رغم ذلك، فالأوروبيون الذين يقتنونه، لا بدّ أنه كانت لهم معه تجارب غريبة، قد يتعذَّر فهمها.

9 **دجنبر** (ديسمبر/كانون الأول)

فترة هادئة، نسبياً، بعد الازعاج المتطاول الذي عانيته خلال الأسبوع الأخير: لقد قضيت ستّة أيّام متنقِّلاً، بسرعة، بين مسؤولي البريد والديوانة والرقابة لتسلُّم التجارب المطبعية لمجموعتي القصصية «Call at Corazón» عام (1947)، التي يقوم «بيتر أوين»[1] بإصدارها، تحت هذا العنوان.

(1) ناشر إنجليزي وُلِد سنة 1927. انخرط في عالم النشر وهو في الرابعة والعشرين من عمره، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. نشر لمحمَّد شكري سيرته الذاتية «الخبز الحافي»، سنة 1973، في صيغتها الإنجليزية.

26 دجنبر

في (فيترينة) دكّان، يملكه بائع هندي، في شارع باستور، يُعرَض شيء من أسخف ما شاهدته هذه السنة: أنبوب بخّاخ مضادّ للعرق، ثُبِّتت فيه بوصلة.

16 يناير (كانون الثاني)

وصلتني من جمعية المؤلِّفين والملحَّنين المسرحيِّين، وثيقة تخبرني بأنه تَمَّ قبولي «عضواً وارثاً- membre succession». ربَّما سأتمكَّن، حالياً، من تسلُّم حقوقي كمؤلِّف. لكن، من يدري؟ فالفرنسيون ما زالوا أوفياء لأنفسهم، وهم- شأنهم شأن المغاربة- لا يتنازلون عن المال إلّا بشقّ الأنفس.

17 يناير

كتبت «بافي» تقول بأنها استُنطقت من طرف الشرطة، في موضوع مقتل «دونالد ويندهام- Donald Windham»[1] ، وأنها ألمحت لهم بأن المعتدي- ربَّما- شعر بالإهانة جرّاء ما كتبه «ويندهام».

(1) كاتب وروائي أميركي (1920 – 2010)، كان صديقاً لكلّ من «تينيسي وليامز»، و«ترومان كابوت». من أبرز رواياته «نجم الكلب» (1950).

20 يناير

كلّ صباح، ومتى سمح الطقس بذلك، أغادر بيتي للقيام بمسيرة طويلة. يبدو أن التجوُّل نافع لساقيَّ. وسواء أكان الأمر كذلك أم لم يكن، فإنني أخرج للتجوُّل. أمشي كلّ يوم برفقة أغنية شعبية، لا يسمعها أحد غيري. لاأبذل مجهوداً للبحث عنها، بل تنبعث تلقائياً من لا وعيي الباطن. في الصيف المنصرم، تنبَّهت إلى تسلُّل هذه الأغاني القديمة، التي تنتمي إلى العشرينيات، إلى وجداني، وبما أني لم أتمكَّن من تذكُّر عنوان الأغنية التي شغلتني أمس، فقد قرَّرت تسجيل عنوان أغنية اليوم «Red Hot Mama».

22 يناير

أغنية اليوم هي «I gave you up just before you threw me down».

لديَّ انطباع بأن ساقيّ تخوران من تحتي. على الأقلّ، هذا ما يؤكِّده عبد الواحد وهو يساعدني على الوقوف منتصباً. لا أتذكَّر أني شاهدت برداً قارساً مثل هذا، في طنجة، وهذا البرد يحول- ولا شكّ- دون أن تستجيب العضلات للحركة، تّواً.

24 يناير

Sleepy time Gal

«رودريغو» عاد أمس، بعد التوقُّف مرَّتين، في «بانما»: في طريقه إلى «غواتيمالا»، وفي أثناء العودة منها.

26 يناير

Sueños de opio

كلّما قرأت مقالاً، حول ما يسمِّيه الصحافيون «مأساة سيريلانكا»، انتظرت أن يشير أصبع الاتِّهام إلى الإنجليز. الأمر الذي لا يصدَّق هو أن هذا لا يحدث، بتاتاً. وعوض ذلك، يتمّ الانتقال إلى التفاصيل واستعراض مشاكل السلالة والدين والتقاليد الثقافية، إلى أن يترسَّب، لدى القارئ، شعور بأن هذا النزاع لا يمكن تلافيه. لكن كلّ واحد يدرك بأن التاميل لم يهاجروا إلى «سيلان» رغبةً منهم؛ فلماذا- إذن- استقدمهم البريطانيون إلى هذه الجزيرة؟ لأنهم كانوا بحاجة إلى يد عاملة بائسة وإلى عمّال فلّاحين عاجزين، لإرغامهم على العمل، مقابل أجور زهيدة. السِّنْغاليون ما كانوا ليقبلوا، قطّ، معاملة من ذلك القبيل، أمّا التاميل، وهم في أرض أجنبية، فقد وجدوا أنفسهم تحت رحمة البريطانيين.

27 يناير

The Alcoholic Blues

تبيَّن أن خبر مصرع «دونالد ويندهام» كان حيلة تضليل، مدبَّرة من طرف شخص حاقد على «بافي جونسن»، وهي تنسب هذه الخدعة الماكرة إلى طالب من الساحل الغربي، وتقول إنه هو، بلاشكّ؛ حيث كان مصاباً بداء انعدام المناعة «وليست لديه إلّا رغبة واحدة، هي إلحاق الضرر بالغير».

4 فبراير (شباط)

ثلاثة يابانيين جاؤوا لزيارتي اليوم: السيِّد والسيِّدة إينوهيكو، برفقة «بريكي سوزوكي» رئيس تحرير المجلّة الشهرية الأدبية «shincho»[1]، التي تصدر في طوكيو. موضوع المناقشة دار حول رغبتهم في ترجمة بعض نصوصي، ونشرها. إنهم يريدون مني- أيضاً- كتابة مقدِّمة «للجمهور الياباني». رويت لهم كيف تمَّت قرصنة قصَّتي «The delicat prey»، في طوكيو، قبل خمسة وعشرين عاماً، تحت عنوان «Kayowaki Ejiki». ربَّما كان ذلك تصرُّفاً سفيهاً، من جانبي. وقال السيِّد «سوزوكي» بأنه لا يودّ التعامل مع وكيل. سنعمل- إذن- بدون أيّ عقد.

6 فبراير

اقتنى «رودريغو» طائر باز، ثم حَدَّثنا عن مشروع تعليمه القنص، وعندما سمع المرابط هذا النبأ، عزم على سرقة الطائر منه.

7 فبراير

البرد جدّ قارس، إلى درجة أني قرَّرت الامتناع عن القيام بجولاتي الصباحية.جاء المرابط باكراً، وأوقد ناراً كبيرة في المدفأة. عند استيقاظي، كان اللهب يصدر أزيزاً. صباحات رائعة تلك التي تكون فيها الحرارة، في غرفتي، أربع درجات.

---

(1) مجلّة أدبية يابانية، تصدر، شهريّاً، منذ1904، من طرف الناشر «Shinchosha».

احتفظ «رودريغو» بالطائر في القفص، وهو يؤكِّد أن الباز لطيف، وأنه، فيما يبدو، لا يهابه. كان يقتات من لحم عجل نيِّئ.

10 فبراير

قضيت هذه الظهيرة كلّها صحبة ثلاثة صحافيِّين إيطاليِّين.

12 فبراير

زيارة صحافي برازيلي ذي لقب دساس، هو «Leda»[1]. أحضر «رودريغو» الباز إلى الشقّة. إنه طائر جميل، يريد «رودريغو» نقله إلى قمّة الجبل لإطلاق سراحه، فقال المرابط معلِّقاً:

- حتى يقوم بافتراس دجاج الناس؟

13 فبراير

انطلقنا بالسيّارة، عبد الواحد وأنا، صحبة «رودريغو» ومعنا القفص، صوب القمّة العليا التي تطلّ على مديونة. كان الصعود إلى القمّة، فوق الصخور المسنَّنة، بالغ الإرهاق. أعانني عبد الواحد على تحمُّل ذلك. وعندما تَمَّ فتح باب القفص، وإقناع الباز بالخروج منه، قذف به «رودريغو» في

(1) يلمِّح «پول پولز»، هنا، إلى أن Leda، في الأساطير اليونانية، هو اسم أنثى وليس اسم ذكر.

الجوّ، ومكثنا نحن ننظر إليه، وهو يحلِّق. كانت ريح شرقية قويّة تهبّ، وبدا لنا أنها كانت تحول دون ارتفاع الطائر عالياً، في الفضاء. لقد اتَّجه، مباشرةً، نحو الشمال الغربي، فوق غابة الصنوبر، كما لوكان يعرف، جيّداً، طريقه. كان يرتفع، رويداً رويداً. البرد يُثلج عظامي؛ لذا ما إن عدت إلى البيت حتى أويت إلى الفراش.

20 فبراير

أعاني من زكام حادّ، منذ اليوم الذي أخذنا فيه الباز إلى الجبل. يعمل «L»[1]، كاتب سيرتي المثابر، على تنظيم حفل موسيقي مقتبس من ألحاني، في إطار المهرجان الموسيقي «Manca de Nice»[2]، وذلك يـوم 3 أبريل. من الصعب عليَّ تجاوز غيظي تجاهه، أما هو فيحاول، جاهداً، أن يبدو لطيفاً ومؤدَّباً حيالي. أكثر من هذا، اقترحَ أن يأتي إلى طنجة قادماً من «بوسطن» لاصطحابي إلى المهرجان، فيما لو وافقت على الذهاب إلى هناك. لكني سوف لن أذهب؛ فأنا مُسِنّ، ولا أحتمل أن يتفرَّس الناس في ملامحي.

2 مارس (آذار)

ذهبت إلى وكالة بنك (وفا) للاستفسار عن لوحة اليعقوبي. قيل لي إنها موجودة في الدار البيضاء، وإن المعرض لن يتمّ تنظيمه قبل أبريل ومايو.

---

(1) انظر الهامش رقم 1 في الصفحة (13).

(2) مهرجان للموسيقى المعاصرة، يُعقَد كلّ سنة، في شهر أبريل، في مدينة «نيس» الفرنسية، وإقليمها.

ويعتقد عبد الواحد والمرابط أن المعرض مجرَّد خدعة، وأن اللوحة بيعت. لكن، يبدو لي أنه من المستبعد حدوث ذلك.

11 مارس

المنزل الذي يُفترض أن المرابط شيَّده لـ«خيريس» انتهى العمل فيه، لكنه لا يعتزم السماح لها بالإقامة هناك. أمّا الثمانون ألف درهم التي سلَّمَتْه إيّاها منذ سنة، قبل عودتها إلى نيويورك، فقد استعملها بطريقة غير مسؤولة، بل يمكننا وصفها بأنها إجرامية، لتشييد الإصطبل الذي سيؤوي فيه حيواناته. المنزل المشيَّد فوق الإصطبل تطَلَّب ثلاثة أو أربعة أضعاف الثمن، وهو مبلغ صرفته، دون حماسة تُذكَر، بعد جدل طويل مع «خيريس». وعندما عادت هذه الأخيرة، كان المرابط يتوقَّع أن تعطيه المزيد من المال، لكن، بما أنها رفضت، فقد كان مضطرّاً إلى اصطناع غيظ كبير (استعمل أسلوب الهجوم قبل مواجهة التهمة)، وقال لها: «ليس هذا بيتك»، ثم شرع في تأثيثه مؤكِّداً أنه هو مَنْ سيقيم فيه، مع أن هذا الأمر متعذِّر، لأنه لا وجود، في البيت، لماء أو كهرباء أو مجرى «الواد» الحارّ؛ ذلك يعني أنه لا «خيريس» ولا هو بقادَرْين على الإقامة فيه. سوف أذهب لرؤية المكان، ما إن يتحسَّن الجوّ. لقد غدا فضولي متحفِّزاً، بعد أن تمَّت عملية التشييد.

15 مارس

صيغة مخيِّبة للآمال من رواية «The Sheltering Sky» عام (1449) وصلتني، اليوم، من مدريد. لقد اختار الناشر الإسباني «Alfaguara»

العنوان نفسه، الذي استعملته طبعة «بوينوس آيريس» سنة 1954، وهو «El cielo protector»، وهذه ترجمة سيِّئة، حافلة بالمحذوفات وبالأخطاء. إنه أمر مؤسف.

19 أبريل (نيسان)

لا أحد يدري- بالضبط- ما إذا كان شهر رمضان سيبدأ اليوم أو غداً. لقد علمنا، أمس مساءً، فقط، عندما دوَّت صفارات، أن الصيام سيبدأ اليوم (هذا هو رمضان الثاني الذي استُعملت فيه صفارات الإنذار، عِوَض المدفع! «Allez donc savoir pourquoi»). ضربة مدفع تكون كافية لتجد نفسك في الجانب الآخر من الحدود، في بلد الممنوع. البعض يزعمون أنه، بسبب جَوَلان السيّارات، يتعذَّر سماع المدفع. ربَّما كان هذا صحيحاً عند غروب الشمس، أمّا في الرابعة والنصف صباحاً، فالمدينة تكون صامتة. أستغرب كيف لم يُشِرْ أيّ مسلم إلى سخافة استعمال صفّارة إنذار (تُستعمل- عادةً- تحسُّباً من هجوم جوّيّ) للإعلان عن يوم الصيام المقدَّس.

في كلّ سنة، يكون عليَّ أن أتذكَّر تنبيه الذين يأتون لشرب الشاي هنا، أن عليهم الانصراف قبل مدّة طويلة من غروب الشمس؛ ذلك أن الساعة التي تتلو حلول الليل يجب قضاؤها في البيوت، وليس في الشارع، قطعاً، لأنها الوقت الذي يتمّ فيه مهاجمة الأجانب. الشوارع تكون خالية تماماً، فلا سيارة، ولامارّ، ولا شرطيّ يوجدون، حينئذ، في أيّ مكان من المدينة.

إحدى زائراتي، وهي أميركية مُسنّة، تَمَّ ضربها وركلها بالأقدام، وسرقة

متاعها في الشارع، أمام العمارة. لقد شعرت بالذنب، تقريباً، لكوني أعيش في مكان، لم تعد فيه اعتداءاتٌ من ذلك القبيل تثير دهشة أحد. لكن الشعور الحقيقي بالذنب هو ذلك الذي يخامرني في حضور أناس مسلمين؛ فهم يعانون وأنا لا أعاني. أنا مرغم، هنا، في البيت، على الأكل والشراب أمامهم. هم يزعمون، دوماً، أن رؤيتهم شخصاً، وهو يتناول الطعام، لا يزعجهم البتّة. يقولون لي: إذا جعت، فعليك أن تأكل. لا أحد يطلب مني أن أتوقَّف عن الأكل. هذا صحيح، لكن الضغط الاجتماعي حادّ، إلى درجة أنه لو فوجىء أحدهم، وهو يأكل في مكان عامّ، لتمّ القبض عليه، وزُجَّ به في السجن.

هم يقولون إن العطش أشدّ إيلاماً من الجوع، والمدخِّنون يغدون حانقين في الأيّام الأولى للصيام. وطيلة الشهر تزداد المشادّات بين الناس، لكن لا أحد يعترف بأن سوء مزاجه ناتج عن رمضان. يقول عبد الواحد:

– إذا كان مزاجك سيِّئاً بسبب رمضان، فإن صيامك يغدو بدون قيمة، والأفضل ألّا تصوم.

مع ذلك، فالناس يهتاجون عند أوَّل فرصة، وأنا أحتاط ألّا أعارضهم، أو أوجِّه النقد إليهم.

24 أبريل

لديَّ عنكبوت في بيتي، تصرُّفها مذهل. إنها من ذلك النوع ذي الجسم الصغير والقوائم الطويلة الذي لا يصنع له أيّ عكاش أو شبكة. تقضي أيّامها معلَّقة في سلك يتدلّى من رفّ رخامي، وراء الباب. منذ ثلاثة أيّام،

وهي تمضي كلّ مساء للتوقّف على بعد حوالي متر أو أكثر، بالقرب من المغسل. وفي الصباح تعود إلى ركنها المعتاد. ليس بين المكانين حشرة، بإمكان العنكبوت التهامها، لكنها لا تتخلّف عن قطع المسافة نفسها، كلّ مساء. لو أنني أخبرت أحداً بوجودها لتمّ القضاء عليها حتماً، فليس هناك من يشجِّع على مكوث العناكب في البيت. لكن «رحمة» خادمة لا مبالية، بحيث يمكن لهذه العنكبوت أن تقضي شهوراً، هنا، دون أن يزعجها أحد. أمّا لو اكتشف المرابط أو عبد الواحد وجودها، فسيقومان بدعسها، دون تردُّد. أجهل لماذا، لكني أفترض أنها غير مؤذية، وأنها ليست البتّة من صنف العناكب التي تهاجم وتلسع، فهذه الأخيرة لها جسوم أكثر كثافة، وقوائم أكثر ثخانة، وذات سواد حالك.

25 أبريل

ذهبت يوم الجمعة الأخير إلى «مغايغ»، فكان الصعود مرهقاً. لكن، بعد مرور ثلاثة أيّام، ازداد الألم استفحالاً في أعلى الساق، إضافةً إلى الوخز المعتاد في ربلته، ما يجعل مشيي بالغ الصعوبة. عليَّ أن أقنع نفسي بأن الأمور ستتحسَّن، في نهاية المطاف.

27 أبريل

بعد حوالي أسبوع، كان الطقس فيه ربيعياً، عدنا إلى طقس يناير: سماء ملبَّدة بالغيوم، وريح شرقية، وزخّات مَطَرية متقطِّعة. يكاد يكون مستحيلاً، في طنجة، أن تستقر درجة الحرارة عند حَدّ محمود، ومن غير

أن تهبّ تلك الريح الشرقية اللعينة، التي تعطيك إحساساً بأن برودة الجوّ المفاجئة تدنَّت بمقدار عشر درجات؛ لذا يبدو شهر يوليو- في الغالب- أشدّ برودةً من يوم هادئ، في فصل الشتاء. لقد تعوَّدت على إيقاد النار في المدفأة. ما زلت أعاني من آلام الساق، لكن بشكل أقلّ من أمس، حيث قضيت يومي كلّه تقريباً في الفراش. أستعمل مزيجاً من «Adalgur» و«Alpha- Kadol»، عند الضرورة. بيد أن استهانتي بأدوية الصناعة الصيدلانية تعود إلى طفولتي الباكرة، عندما لم أكن أسمع سوى الاعتراضات على هذه المنتجات الصناعية التي كانت توصف بأنها ضارّة. أمّا اليوم، فلا يبيع الصيادلة سوى هذه المنتجات (على الأقلّ، في هذا البلد الذي ينتمي إلى العالم الثالث، وفي كلّ مكان، لاشكّ). من المستحيل أن تطلب، اليوم، من صيدلي أن يُعِدّ لك- يدويّاً- دواءً، في خلفية دكّانه، وهذا ما أعتبره بركةً هنا، فالله وحده يعلم كم من أخطاء قاتلة سيتمّ تلافيها، على هذا النحو.

3 **مايو** (أيار)

حكاية تقليدية عن العنف في شهر رمضان، وقعت في سوق «كاسا براتا». كان رجل يقوم بإعداد «الشبّاكية) وهو يقتعد الأرض، ويأمل في اجتذاب الزبائن (في الماضي كانت (الشبّاكية) تُعَدّ بالعسل؛ أمّا اليوم، وبما أن العسل نادر، فهي تُعَدّ بواسطة السكر، والنتيجة ليست بالغة الجودة). رجل آخر له عربة سلع متنقِّلة، بها أمشاط ومرايا جيب ومعاجن أسنان وأشياء مشابهة، جلس بحذاء الأوَّل الذي يأمره، فوراً، بإخلاء المكان والذهاب إلى موقع آخر. أجاب الرجل الثاني بأنه سوف لن يمكث هناك

أكثر من دقيقة واحدة، قصدَ الاستراحة، ثم سيغادر. زمجر صاحب (الشبّاكية) قائلاً:

- «صافي»!.

وأخرج مدية طويلة، ضرب بها الرجل الآخر بحركة من أعلى إلى أسفل ممزِّقاً أوداجه. نهض الجريح، وخطا بضع خطوات، ثم سقط. ولده، ذو الأربع سنوات، ظلّ ينظر إليه، وهو ينزف دماً، إلى أن مات.

تلك هي ثاني جريمة تقع في «كاسا براتا» منذ بداية رمضان، قبل أسبوعين. لقد وقعت جرائم أخرى في أماكن مختلفة من المدينة، لكنني لم أتوصَّل، عن هذه الأخيرة، بأيّ وصف صادر عن شهود عيان.

19 أبريل (نيسان)

طارت «خيريس»، هذا اليوم، في اتِّجاه نيويورك. من سوء حظِّها أنها جاءت، أمس، وهي تحمل باقة ورود وزنابق كبيرة، وكان المرابط قد اشترى، يوم الجمعة، كمّيّة من ورود بيضاء من نوع «كيف كونتي»، ووضعها في مزهرية. لكنّ فكرة سيِّئة خطرت لـ«خيريس» قضت بجعل ورود المرابط في آنية متواضعة، وذلك لإعطاء باقتها المدهشة المكان المناسب. فكَّرتُ، للتوّ، في أن المرابط سوف لن يكون سعيداً جدّاً بهذا الوضع، لكنني لم أكن أتوقَّع عنف ردّ فعله. تقاطرت من فمه أقذع ألفاظ السباب والشتم، وكلّما حاولت «خيريس» الشروع في الكلام، كان صراخه يعلو فوق صوتها. إن كلّ من تعوَّد على العيش هنا، في شهر رمضان، عليه أن يتراجع عن كلّ محاولة لإقناع خصمه، لكن يبدو أن «خيريس»

كانت تعتقد أن الظروف عاديّة، تماماً، بحيث أصرَّت على أن تسأل المرابط عمّا إذا كان تصرُّفها جارحاً. ازداد صراخ هذا الأخير عنفاً، وشرع يسبّ المرأة، بالعربية، والإسبانية، والإنجليزية، ثم عمد إلى قذفها بالوسائد، قبل أن يصفعها صفعة مدوِّية. لقد كانت «خيريس» منحنية عليه، لذلك لم تسقط. لكن المرابط نطَّ بخفّة، والتقط عوداً من أخشاب المدفأة، وتوجَّه صوب المرأة البائسة لضربها على الجمجمة. لم يُحدث صراخي، وأمري إيّاه بالجلوس والكفّ عن الكلام، أيّ أثر. لكن عبد الوهاب، الذي كان هناك صحبة عبد الواحد، تدخَّل بين الخصمين، حيث تمكَّن من تهدئة المرابط، لبضع لحظات (كان عبد الوهاب من أصول ريفية؛ لذا أصغى إليه المرابط بكلّ طواعية). لكن هذا الأخير شعر- ولاشكّ- أنه رضخ بسهولة، لذا واصل الصراخ مجدَّداً قائلاً: بأنه يوجد في غرفة مليئة بالذين يجب، في نظره، قتلهم لمنعهم من تلويث الجوّ الذي يتنفَّسه المسلم. إثر ذلك غادر الغرفة، وسمعناه وهو لازال يواصل التلفُّظ بالسباب والكلام المقذع، قاطعاً المطبخ جيئةً وذهاباً. كانت «خيريس» تنتحب، وعبد الوهاب قرَّر المغادرة، وذلك ما فعله بسرعة، ناسياً مطريَّته. أمّا عبد الواحد فظلَّ جالساً وهو يهزّ رأسه، ويهمس لي:

- أيّ رجل رهيب هو! إن له قلباً أسود كالقار.

أظنّ أن سلوك المرابط أثار حنقه. أمّا أنا فلم أكن مندهشاً؛ إذ سبق لي أن عاينت، من قبل، أزمات جنون المرابط وغضبه الشديد، لكنني شعرت بالعار من حدوث كلّ ذلك في شقّتي، ومن أن تدفع إحدى مدعوّاتي ثمن ذلك. وعندما كانت «خيريس» تغادر، وهي مازالت تنتحب، صرخ المرابط فيها:

- لوعدت من نيويورك، فسوف أقتلك.

خمس دقائق، قبل ذلك، كانت قد همست لي:

– هل تعتقد أنه سيقتلني؟

أجبتها وأنا أبتسم:

– طبعاً، لا.

لكنَّ وعيدَ المرابط لم يكن ليطمئنها، وكنت أمنّي نفسي أنها حين تعود من السفر، فإن شهر رمضان سيكون قد انتهى.

قبل الذهاب إلى بيته، جاء المرابط معتذراً عن تصرفه:

– لقد شاءت إثارة جنوني، وكانت تقول، دون توقُّف، إنني لصّ. فهل باستطاعتها البرهنة على ذلك؟ وهل لديها شهود؟

إنه سيكون من العبث الاعتقاد بأن ما حدث سببه باقة ورد، وُضعت في المكان غير المناسب، كما قد يظنّ ذلك أجنبيٌّ عن البيت، لكن وعي المرابط كان شقيّاً، وعندما يشعر مغربيّ بأنه مذنب، فإنه يعمد إلى نهج سبيل الهجوم.

5 **مايو** (أيار)

العنكبوت التي كانت غائبة طيلة الأسبوع، تقريباً، قرَّرت – فجأةً – الالتحاق بملجئها الليلي المعتاد، حيث تقضي، منذ الآن، نهاراتها ولياليها. ذلك ما بدا لي مثيراً للشكوك، على نحو غامض. إنه المكان الذي كان مستقرّها من قبل، إبّان الليل، لكنني لست على يقين، مع ذلك، من أنها الحشرة نفسها؛

فهذه تبدو أصغر حجماً، وأشدّ هزالاً من الأخرى. وإذا كان الأمر- فعلاً- يتعلَّق بعنكبوت غيرها، فماذا يكون قد حصل للأولى؟. ولماذا تشغل هذه المكان نفسه الذي شغلته الأخرى؟ في وسع عالم حشرات- ولاشكّ- أن يقدِّم تفسيراً مُرضياً وغير متوقَّع.

6 مايو

ذهب «رودريغو» أمس، في سفر إلى الجنوب، يستغرق أسبوعاً واحداً. وبما أنه لم يكن يعرف «تنغير»، فقد اقترحت عليه الذهاب إليها انطلاقاً من مراكش، على أن يواصل صوب الشرق، إلى غاية الرشيدية، ثم إلى الشمال إلى غاية «ميدلت». بدا لي أنه كان عازماً على اختراق «تيزي نْتيشْت» للذهاب إلى «تارودانت»، التي كان قد زارها من قبل. في هذه الحالة، هو لن يذهب- ولاشكّ- إلى «تنغير».

علبة تسجيل الحفل الموسيقي الذي نُظِّم في مدينة «نيس»، في الشهر المنصرم (وكنت أعتقد أنها ضاعت، حيث تَمَّ استخراجها من غشائها)، حُجزت، فقط، من طرف الرقابة، بدعوى أنه لم يُصرَّح بها. لقد أحضرها عبد الواحد، هذا الزوال. القطع المعزوفة بواسطة آلتي (البيانو) رديئة جدّاً، بل أردأ ممّا كنت أظنّ. أداء بعض الأغاني لم يكن سيِّئاً، ونجح عازف البيانو المفرد- بسبب عزفه للقطعة بعنف شبيه بسيل مدمِّر- في أداء ألحان كانت نشازاً أكثر ممّا كانت صائبة. لماذا يرفض عازفو البيانو الامتثال لتعليمات ضابط السرعة، في أثناء العزف؟ فرضيَّتي هي أنهم يتخيَّلون بأنهم يُحدثون تأثيراً عميقاً، عند العزف، بأكثر ما يمكن من السرعة، شأنهم في ذلك شأن الراقن على الآلة الكاتبة، الذي يلهث ليبرهن

على كثرة الكلمات التي رقّنها في كلّ دقيقة.

7 مايو

عندما نكون في السيّارة، وسط الخلاء، يروي عبد الواحد، أحياناً، حكاية وقعت، أو يقال إنها وقعت في إحدى القرى التي كنّا بصدد عبورها. بعض هذه الحكايات لا يخطر في بالي، أبداً، ابتكارها، أمّا البعض الآخر فعاديّ، تماماً، مثل هذه:

كان هنالك زوجان يعيشان، في دوّارهما، ظروفاً تزداد صعوبة. لقد نفقت دجاجاتهما الأخيرة، بسبب جائحة.

– لو أردنا ألّا نقضي نحبنا، فعلينا الذهاب الآن، ما دمنا نستطيع المشي، قال الزوج.

كانت المرأة الشابّة حاملاً، فشرعا في السير عبر الطرقات إلى أن وصلا إلى باب «تازة»، مع حلول الليل. رآهما رجل، وأدرك، للتوّ، أنهما قادمان من البادية، فاستفسرهما عمّا إذا كان يستطيع مساعدتهما. شرحت المرأة قائلة:

– نبحث عن مثوى.

– بيت؟

– أجل.

– هيّا.. سأريكما منزلاً مناسباً.

دلَّهما الرجل على منزل، كان قد اشتراه بغية بيعه. وقبل الدخول إليه، أراد الزوج معرفة السعر (ولم يكن يملك فلساً واحداً). كان المنزل خالياً تماماً، وبعد زيارته سأل الزوجان المالك ما إذا كان يسمح لهما بقضاء الليل فيه، مؤكِّدَيْن له أنهما سيخبرانه بردِّهما صباح الغد. وافق المالك على ذلك. تبادلوا تحيّة المساء، وذهب مالك المنزل إلى حال سبيله. مضى الزوج للبحث عن الماء في البئر، قصد الاغتسال وإعداد العشاء، فلمح صندوقاً صغيراً يطفو وسط العتمة. عمد إلى انتشاله، ثم لاحظ أنه مغلق بواسطة قفل. قرَّر الزوجان أن مالك المنزل يجهل وجود هذا الصندوق، ففتحاه، واكتشفا أنه كان مملوءاً بأوراق نقدية. في صبيحة الغد، وصل مالك المنزل، فأخبراه بقبولهما شراء المنزل الذي كان سعره يساوي نصف ما في الصندوق من مال».

لقد كان عبد الواحد شغوفاً بحكايات الكنوز المخبوءة التي تخلو، في العادة، من أيّة أهمِّيّة.

16 مايو

من ميزات شهر رمضان، ذلك العزف المنفرد على الغيطة، في صوامع المساجد، قبل الآذان. في هذه السنة، تَمَّ إلغاء ذلك. أتخيَّل أن أحدهم- ربّما- ارتأى أن تلك الممارسة متخلِّفة، أو أنها غير شرعية. يوضّح عبد الواحد:

- على أيَّة حال، لم يعد الناس يريدون سماع رجل ينفخ في غيطة، فلديهم موسيقى في التلفزة.

في سنة 1977، قمت بتسجيل معزوفات المزامير الليلية، طيلة شهر رمضان. لعلّني- دون أن انتبه إلى ذلك- كنت أرتاب- بالتأكيد- في أنهم سيقومون بإلغاء العزف، آجلاً أو عاجلاً؛ فالأشياء الجميلة- للأسف- لا تبقى.

20 يونيو (حزيران)

أمور جدّ قليلة، جديرة بالتسجيل. توصَّلت بقصاصات صحف ناطقة بلغات مختلفة، تعلن جميعها عن نيّة المخرج «بيرتولوتشي»[1] في تصوير «شاي في الصحراء». لكنَّ أيّ تصريح، في عالم السينما، يمكن أن يكون مجرَّد دعاية؛ ما يعني أنني لست متأكِّداً أن الفيلم سيُصَوَّر أم لا. يصعب على الناس الاعتقاد بأن «هيلين ستراوس»[2] لم تشترط بنداً يحدِّد زمنية العقد، عندما قامت ببيع الحقوق السينمائية لكتبي، في الخمسينيات. وإذا كان «بيرتولوتشي» قد اقتناها، فإني أجهل الجهة التي كانت واسطته في ذلك.

26 يونيو

منذ زمن طويل، أعاني من الفتق معاناةً بالغة، بحيث لم أعد قادراً على احتماله.

(1) مخرج سينمائي إيطالي، وُلِد سنة 1941. من أشهر أفلامه «الإمبراطور الأخير»، و«التانغو الأخير بباريس»، و«جمال منهوب».

(2) عملت وكيلة أعمال لدى «وليام موريس» منذ سنة1944. وُلِدت في نيويورك، سنة 1904، وتوفِّيت سنة 1987، عن سنّ تناهز 83 عاماً.

لقد وافق الدكتور «راوا-Rawa» على تخليصي منه، لو أذنت له بإجراء العملية بواسطة تخدير موضعي، وبشرط أن أغادر المستشفى، مباشرةً، إثر ذلك. بدا لي ذلك هو الحلّ الأمثل لمشكلتي، خاصّة أن سمعة مستشفى القرطبي بالغة السوء، وكلّما قَصُر زمن المكوث فيه كان ذلك أفضل.

7 يوليوز (يوليو/تموز)

يوم ملبَّد بالغيوم. اقترح «فيليب رامي»[1] اصطحابي إلى المستشفى وانتظاري هناك، في أثناء إجراء العملية. عبد الواحد مكث داخل السيّارة في الخارج. لم يكن يعتقد أنه سيكون بإمكاني المشي من مدخل المستشفى إلى بوّابته، لكنني تمكَّنت من ذلك، دون مشقّة. أَثَر البنج شرع في التضاؤل، رويداً رويداً، ونحن نمضي في اتِّجاه الشقّة. أخذ المطر يتساقط زخات. أحدث هذا السيل عطلاً كهربائياً، بحيث كان المصعد متوقِّفاً عن الحركة، عندما وصلنا إلى (عمارة) «إيتيسا». صعد أحدهم لإحضار مقعد من الشقّة. أجلسوني عليه، وإثر ذلك حملني كلّ من فيليب رامي، والمرابط، وعبد الواحد، إلى الطابق الأخير. لقد ظلَّت هذه المرحلة، من اليوم، مبهمة في ذهني. مكثت في السرير، وكان الألم محتملاً.

«ريجينا وينريش»[2]، التي وصلت، لتوّها، من نيويورك، جاءت لرؤيتي،

---

(1) ملحِّن وعازف بيانو أميركي، من مواليد سنة1939. كان جاراً لپول پولز وصديقاً حميماً له. أجرى معه حواراً مهمّاً حول مقامه في طنجة والمغرب، سنة 1997.

(2) منتجة، ومخرجة أفلام وثائقية، وباحثة، وكاتبة دراسات حول ما يسمّى «جيل النَّعمة- The beat Generation». صوَّرت فيلماً وثائقياً عن «پول پولز» يحمل عنوان «پول پولز: المنشقّ الكامل». وُلِدت في ميونيخ (ألمانيا)، سنة 1949.

وللحديث عن الفيلم الوثائقي الذي تنوي تصويره لحساب التلفزة الأميركية. لقد كان اختيارها هذا الوقت، للحديث عن الموضوع، سيِّئاً، وأنا لم أكن راضياً. فلاشيء أشدّ إثارة للغيظ من احتمال تعامل مطوَّل مع فريق تلفزي. لقد أعطيت موافقتي المبدئية لـ«ريجينا وينريش». لكن، بما أن التصوير لن يُشرع فيه قبل أكتوبر، فقد قلت في نفسي: ربَّما نكون، أنا وهي، قد قضينا نحبنا قبل ذلك. وتلك هي إحدى وسائل جعل المستقبل محتملاً بعض الشيء.

23 يوليوز

لن أقترب من الشاطىء بعد اليوم. قبل خمسين عاماً، كنت أقضي، هنا، أيّامي في فصل الصيف، وإذا حدث- لسبب من الأسباب- مانع، ولم أذهب إلى الشاطىء، ترسَّب لديَّ انطباع بأيّام لا وجود لها أو فاشلة. كان المغاربة يعتبرونني أشبه بشخص أخرق، فحتى الرجال لم يكونوا يأخذون حمّام شمس، في تلك الفترة؛ كانوا يعتقدون أن الشمس ضارّة. بعد الحرب (العالمية الثانية)، أخذ الشبّان يلعبون كرة القدم على الشاطىء، ومن وقت لآخر كان بالإمكان رؤية امرأة وهي تمشي وسط الموج، وقد ارتدت كافّة ملابسها، بطبيعة الحال. لقد تعوَّدت الفتاة التي كانت تقطن بجانبنا، في شارع الميموني، على اصطحاب جاراتها إلى الشاطىء، بعد الزوال، وكن يعدن جدّ مسرورات، قبل الغروب. كانت «جين بولز» تقول عن هذه الفتاة:

- إنها ثورية؛ فهي تملك طوّافة الإنقاذ الوحيدة الموجودة في طنجة.

10 غشت (أغسطس/آب)

متعة رائعة أن تستطيع المشي بعيداً، على هواك، دون أن تشعر بآلام الفتق. هناك قرار رسمي متعذِّر الفهم، تَمَّ، بموجبه، من الآن فصاعداً، نشر بضع عشرات من شرطة خاصّة، تتلخَّص مهمَّتهم في منع الناس، الذين لا يرتدون ملابس السباحة، من المشي فوق الرمال. معنى ذلك أن الأشخاص الذين يرتدون الملابس العادية عليهم البقاء على الرصيف. لا يفيد هذا القانون غير المفهوم أحداً عدا اصحاب المقاهي أو المطاعم الذين يوفِّرون كبائن، حيث يكون باستطاعة الراغبين في السباحة التجرُّد من ملابسهم، وعلى هؤلاء الكفّ عن عادة التجرُّد من الملابس على الشاطئ وتركها ملقاة وراءهم، عندما يذهبون للسباحة. تحدث هناك سرقات عديدة، بسبب وجود عصابة أولاد يتنقلون، دون توقُّف، بين ركام الملابس لسرقة ساعات أو حافظات نقود أو صدريات – أي كلّ ما يمكن حمله بسهولة. لكن، من الصعب الاعتقاد بأن وجود أولئك الشرطة له أيّ أثر ردعي على تلك العصابة من معكِّري الصفو. لعلَّهم يعملون جميعاً من أجل هدف مشترك، إلى درجة يمكن التساؤل معها عمّا إذا لم يكن أصحاب المطاعم قد شغَّلوا هؤلاء المنحرفين، وكذا أفراد الشرطة، لمساعدتهم في تنفيذ «الأمر» الجديد.

11 غشت

كنت ممدَّداً على الفراش، بصدد تناول عشائي، عندما ولجت غرفتي

«باتريسيا هايسميث»[1]. لقد جاءت من سويسرا تلبية لدعوة وجَّهَتها لها «بافي جونسن» التي نسيت موعد قدوم «باتريسيا»، فلم تكن موجودة حين وصولها. رجوتها أن تجلس، وأشرت إلى المكان الذي يمكن أن تجد فيه زجاجة الويسكي وقطع الثلج. وإثر ذلك، أخذنا نتجاذب أطراف الحديث. وبعد مرور حوالي نصف ساعة، عبَّرت عن رغبتها في النزول إلى شقّة «بافي» للتخلُّص من حقائبها. أعطيتها، حينها، سلسلة مفاتيح. وصلت «بافي»، بالضبط، عندما كانت «باتريسيا» تحاول فتح قفل الباب، فقالت لها:

– لم أفهم أنك تعتزمين المجيء...

مضيفة، للتّو:

– أعني هذا اليوم.

17 غشت

عَبَّرَ لي «روبيرت بريات»[2] عن نيَّته تأليف كتاب عن سيرتي، قائلاً إن الناشر «plon» سيقوم بإصداره. يبدو أنه لم يكن بحاجة إلى أيّة وثيقة، وهذا أمر يسرني جدّاً، نظراً لكوني لا أملك وثائق يمكن أن أوفِّرها له. إنه يريد أن يعطي للموسيقى بعض الأهمِّيّة، في كتابه، وهذا ما يسرُّني، أيضاً.

(1) روائية أميركية (1921 – 1995). من أشهر رواياتها «الموهوب السيِّد ريبلي» التي تحوَّلت إلى فيلم سينمائي أكثر من مرّة.

(2) كاتب بيوغرافيات فرنسي، وُلِد سنة 1956، عمل أستاذاً للأدب الأوروبي الكلاسيكي ومديراً لإحدى دور النشر في «غرونوبل». ألَّفَ كتاباً عن «پول پولز»، صدر في فرنسا، سنة1989.

23 غشت

ذهبْت بالسيّارة، صحبة «بات هايسميث» و«رودريغو راي روسا» إلى أشقار. احتسينا شراباً في المقهى الذي شُيِّد فوق الكهف. «هايسميث» رفيقة ممتعة، وأنا آسف لكونها ستغادر بعد حين. أخشى ألّا يكون مقامها في طنجة قد مَرَّ في ظروف جيِّدة. كانت «بافي»، طيلة الوقت، معتلَّة الصحّة، فانعزلت في غرفتها؛ لذا وجدت «باتريسيا» نفسها وحيدة، دون رفيق.

25 غشت

عندما عادت «خيريس دي لا فرونتيرا» من أميركا، كانت أمَّها بصحبتها. استأجرت منزلاً كبيراً يتألَّف من ثلاثة طوابق، في دار البارود، ويتوفَّر على إطلالة جميلة على الميناء. هناك، استقرّت المرأتان. يبدو أن أمَّها كانت معجبة بطنجة، لذا مرَّت الأمور بيسر، إلى أن اعترفت «خيريس» (التي تغاضت، بحرص، عن إخبار والدتها بأن منزل «مغايغ» تمّ تشييده، لكنها سوف لن تتمكَّن من الإقامة فيه) بأن المرابط لا يعتزم تسليمها منزل «مغايغ». أحدث هذا الخبر ردّ فعل عنيفاً من طرف الأمّ. ذهبت «خيريس» إلى جهجوكة لأخذ قسط من الراحة، وعندما عادت، رفقة بشير العطّار[1]، رفضت أمّها السماح لها بالمبيت في الدار. يبدو أنها ظنّت أن البشير هو محمَّد المرابط، فلامت «خيريس» على الاستمرار في صداقتها

(1) من مواليد سنة 1964، في جهجوكة، بالقرب من القصر الكبير. عازف موسيقي، ورئيس فرقة موسيقيِّي جهجوكة.

لرجل نَصَب عليها. شرعت خيريس في القيام بحملة في أوساط الأميركيين، لإثارة اهتمامهم إلى موسيقيِّي جهجوكة؛ وذلك بهدف مساعدة البشير للحصول على فيزا أميركية. لقد كتبت، في ذلك الشأن، رسالة توصية إلى القنصل، في الرباط.

9 **شتنبر** (سبتمبر/أيلول)

نجح مسعى «خيريس»، وحصل البشير على الفيزا، وذهبا معاً إلى نيويورك. فهل سيتزوَّجان هناك؟ والدة «خيريس» تقيم بمفردها، حالياً، في المنزل الكبير.

10 شتنبر

وصل «وليام بيتش»[1] من باريس، هذا الزوال، ومعه كتاب فنّي بالغ الجمال (وإن كان ثقيل الوزن)، عنوانه «Cites de l'Islam». أتساءل: لماذا عُنْوِن الكتاب بـ«Cites»، مع أن تلك الكلمة لا وجود لها في أيّ معجم؟ لقد زوَّد «بيتش» كتابه بصور عديدة عن المغــرب، وهو يريــدني أن أضع مقدِّمة لكتابه «The Hakima :a tragedy in Fez»[2]؛ لذا لم يسعني سوى تلبية طلبه. يتعلَّق الأمر (في الكتاب) بتقابل بالغ الغرابة بين الصور والنصّ الذي يحكي- ولاشكّ- حكاية اغتيال فتاة، ما لم يكن

---

(1) مصوِّر فوتوغرافي أميركي (1945 - 2010).

(2) صدر في نيويورك، سنة 1991، وفيه مقدِّمة لـ«پول پولز». يتألَّف الكتاب من صور فوتوغرافية ويوميّات، وأحاديث مسجَّلة بواسطة آلة تسجيل.

الأمر انتحاراً أو مجرَّد حادثة. هناك جوّ غريب ومحيِّر، يسري في الكتاب كلّه. الخلافات بين العائلة وأقرباء الفتاة تحكم بالفشل على كلّ محاولة لكشف السرّ. سيصدر الكتاب عن الناشر «Apertures»، وهو ما يُعتبر ضمانة لجودة إخراجه.

7 أكتوبر (تشرين الأول)

يحاول مسؤولو دار النشر «Quai Voltaire»، منذ مدّة، إقناعي بالذهاب إلى باريس للظهور في البرنامج التلفزي «Apostrophes». إلى حَدّ الآن، نجحت في الامتناع عن تلبية الدعوة، لكن «دانييل روندو»[1] جاء من باريس، بالطائرة، محاولاً إقناعي بما يكتسيه ظهوري من أهمِّيّة ملحـــوظة بالنسبة إلى «مساري». إنهم سيتحمَّلون كافّة المصاريف، لكن المشكل هو معرفة كيف سأذهب إلى هناك. لقد رفضت السفر بالطائرة (متى- إذن- استقللت الطائرة، في الأربعين سنة الأخيرة؟)، لكن بإمكاني السفر بالباخرة إلى غاية «سيت- Sète»، حيث من المفترض أن تنتظرني سيّارة يقودها سائق لنقلي إلى باريس. ثم: لماذا التلفزة، دائماً، خاصّة وأنهم لم يقترحوا علي أيّ تعويض مادّي؟ «روندو» قال لي إن من واجبات الكاتب أن يسمح لجمهوره برؤيته، بصرف النظر عن تأثير ذلك البرنامج على مبيعات كتبه. لم أعده بشيء، وعاد هو إلى باريس، لكن ليس قبل أن يلتمس مني- مسبقاً- كتابة نصّ عن فصل شتاء، قضيته في «كي فولتير»، قبل ثمانية وخمسين عاماً. هل بإمكاني التملُّص من هذا الطلب؟

(1) كاتب وناشر صحافي فرنسي، من مواليد سنة 1948. له عدة مؤلَّفات وروايات ونصوص رحلية، حول بعض المدن: قرطاج، وطنجة، والإسكندرية، وإسطنبول.

10 أكتوبر

تناولت الغداء مع «غافان يونغ»، الذي كان يستعدّ للسفر إلى إندونيسيا. لقد نصحني بالذهاب إلى باريس.

17 أكتوبر

قرَّرت أنه لن يكون أمراً سيِّئاً أن تكون لديَّ فيزا فرنسية، في جواز سفري، سواء أذهبت إلى باريس أم لم أذهب. اتَّصلت بالسيِّد «Bousquet»، وهو رجل بالغ اللطف، فاقترح عليَّ مرافقتي إلى القنصلية الفرنسية ليتولّى، بنفسه، منحي الفيزا، مباشرةً.

2 نوفمبر (شباط)

كتبت إلى «روندو»، اليوم، أخبره بأني سأسافر إلى باريس بالطائرة. سيرسل لي بطاقة ذهاب وإياب.

11 نوفمبر

التفكير في هذا السفر، الذي أُكرِهت عليه، يستثير فيَّ كآبة بالغة، بحيث يصعب التفكير في أمر آخر. سأغادر يوم الخميس، ولديَّ نيّة راسخة في العودة إلى هنا، يوم السبت.

20 نوفمبر

عدت أمس، مساءً. غمرتني غبطة حادّة وأنا أعبر الجمارك، في المطار. عبد الواحد كان بانتظاري، في الخارج، داخل سيارتي «الموستانغ»، فيما كان عبد الوهاب ببهو الوصول. السفر إلى باريس حطَّم أعصابي. كان عليَّ أن أقضي خمس ساعات في انتظار الطائرة القادمة من الدار البيضاء. وكلّما حاولت معرفة الخبر، كان الجواب هو أن الطائرة لم تغادر بعد مطار الدار البيضاء، وأنه يستحيل معرفة السبب. أمّا السفر، فكان دون مشاكل. كاد الوقت أن يكون ليلاً، عندما حطَّت الطائرة في مطار «أورلي». لقد قضى «روندو» و«كلود توما» فترة الزوال كلّها في انتظاري، هناك. حركة السيّارات، في باريس، بالغة الكثافة: مضربون أشعلوا نيران الفرح في وسط الشوارع، وتجمهرت الشرطة مثل النمل، في كلّ مكان، وشُلَّت حركة السير، أو كادت. أخيراً، نزلنا من السيّارة، بغاية المشي، بعد أن طلبنا من السائق وضع حقائبي في الفندق. «جون هوبكينس»[1] جاء من «يوركشاير» لملاقاتي، وتناولنا العشاء في غرفتي، (كلود، وجون، وأنا). كان عشاء طيِّباً، طعمت فيه أوَّل شريحة لحم جيِّدة، منذ عشرين سنة.

وكان يوم الغد حافلاً. السيِّدة «بيبكا ميرْل دُوبِينْيي» نظَّمت مأدبة عشاء فاخرة للناشرين والنقَّاد. لقد راقني أن أُعامَل مثل نجم. كرَّستُ الظهيرة كلّها لأناس جاؤوا لطرح أسئلة عليَّ، والتقاط صور لي في الفندق. تناولنا، روندو وأنا، طعام العشاء، رأساً لرأس، وإثر ذلك، تَمَّ نقلنا إلى الأستوديو. كانت الحلقة أطول ممّا كنت أوقع، لكن الأمور مرَّت على نحو مُرضٍ.

(1) أميركي، من أصدقاء «پول پولز»، عاش حوالي 20 سنة في المغرب، قبل أن يرحل إلى إنجلترا. له عدّة مؤلَّفات، من بينها «بطائق طنجة».

«برنار بيڤو»[1] رجل ذكيّ، لكني أجهل إلى أيّ حد يهتمّ- فعلاً- بالأدب. لقد تصرَّف، بنوع من الخشونة، مع الآنسة «ليليان سيبجيل- Siegel»[2]. لكن، عندما تقدِّم امرأة نفسها على أنها عشيقة «سارتر» السريِّة، فعليها أن تنتظر معاملة غير لائقة.

يوم السبت، ذهبت مع «كلود» لاقتناء بعض الحاجيات، على أمل العثور على برنس حمّام. في الدكّان الأوَّل الذي ولجناه، كان هنالك واحد معروض، لكن ثمنه هو 5000 فرنك، وهو مبلغ لم أكن مستعدّاً لدفعه. أخيراً، اقتنيت برنساً كاشميريّ النسيج يساوي أكثر قليلاً من 300 دولار. لقد بدا لي الثمن باهظاً بالنسبة إلى لباس، لن يراه أحد سواي. لكني سُررت لهذه الغنيمة التذكارية التي سأحملها معي إلى طنجة. كان الليل قد أرخى سدوله، عندما جاء كلّ من «كلود»، و«روندو»، و«سيلفان باسْكِيي»[3] لتوديعي في مطار أورلي. باريس كانت أزهى من سنة1938، لكني كنت أودّ الفرار بجلدي، قبل أن أشرع في استرجاع ذكرياتي فيها.

22 نوفمبر

وصلني (تلغراف) من «ريجينا وينريش»، تخبرني فيه أنها ستصل صحبة فريقها التلفزي. كنت قد اقتنعت، تقريباً، بأن مشروع الفيلم

(1) من مواليد سنة 1935. صحافي فرنسي، وكاتب، ومنشِّط برامج ثقافية، في التلفزة الفرنسية، وعضو أكاديمية «غونكور».

(2) بعد «سيمون دو بوفوار» و«آنّا كوهن- صولال»، تعتبر «ليليان سيبجيل» العشيقة الخامسة أو السادسة لـ«سارتر»، ولها كتاب عن علاقتها به، يحمل عنوان «السرِّيّة» (1988).

(3) صحافي فرنسي، عمل في مجلّة «ليكسبريس».

ذهب أدراج الرياح، لكوني لم أتوصَّل بأيّ خبر من «ريجينا»، خلال شهر أكتوبر الماضي.

1 دجنبر (ديسمبر/كانون الأول)

في إحدى رسائلها، عبَّرت «وينريش» عن نيَّتها في منحي 10000 دولار، غير أنها، عقب وصولها، أخبرتني بأنني سوف لن أتقاضى أيّ تعويض. مكث فريقها التلفزي، هنا، أسبوعاً. وقد كبَّدت المخرجة «كاترين وورناو» تقنيِّيها، كما كبَّدتني أنا، ساعاتٍ إضافية متعبة: مشاهد في الخارج مع هبوب الريح، وفي مقهى «الحافّة»، وسوق فاس، وفي غرفتي، حيث كنت أتناول طعامي في الفراش. من الصعب عليَّ تصوُّر من هو المُشاهد الذي سيهتمّ بكلّ تلك اللقطات.

20 دجنبر

اكترى الفريق التلَفزي شقّة «بافي»، في الطابق السفلي من العمارة، لمدّة أسبوع، وذلك لتخزين معدّاته. لكن التقنيِّين- بحسب ما قالت فاطمة- تركوا المكان في حالة فوضى سيِّئة (فضلاً عن كونهم تغاضوا عن منحها نقوداً لتنظيفه، لذا اشتكت من ذلك لـ«ستيفْ ديامونْد- Diamond»[1]، الذي يشغل الشقّة، حالياً، آملةً أن يتحدَّث لـ«بافي» في هذا الشأن، لدى عودتها من نيويورك). و«ستيف» سيقيم في الشقّة المذكورة، لمدّة شهر أو

(1) مقلِّد أميركي، ومضحك.

ستّة أسابيع، وهو يمرّ بي كلّ صباح لآخذ حصَّتي من المشي الضروري لساقيَّ، داخل المدينة وخارجها.

31 دجنبر

أمس، مساءً، نظَّم «محمَّد» المرابط حفلة عيد ميلادي التقليدية، في منزله. لم يكن هنالك جوق موسيقي، بل مجموعة فتيات غنَّيْن، وهنّ ينقرن على الدفوف. تردَّد عبد الوهاب في الذهاب، لكونه يعرف أن المرابط لا يكنّ له أيّ ودّ. لكن، بما أن المرابط لا يرضى، قَطّ، عن أيّ شخص ممَّن يزورونني، فقد شجَّعت عبد الوهاب على مرافقتي. أطباق الطعام كانت لذيذة وكثيرة.

8 يناير (كانون الثاني)

قرَّر «ستيف» إهدائي ببغاء. وعندما عاينّا (لدى أحد الباعة) ببغاء إفريقية رمادية اللون، دخل هو إلى الدكّان للاستفسار عن الثمن فقيل له إنه يساوي 2000 درهم. إثر ذلك، عدنا، أمس، لمعاينة الطائر نفسه، فكرَّرت على مسامع «ستيف» أنه باهظ الثمن، وأن صاحبه يريد الآن 3000 درهم، وهو ما حملنا على مغادرة الدكّان، دون نقاش زائد. عقب ذلك، أثار «ستيف» انتباه عبد الوهاب إلى أنني- بحسب تصوُّره- أُفضّل أن أرى الأمور وهي تؤول إلى نهاية سيِّئة، عوض وصولها إلى نهاية سعيدة، وأني بدوتُ له بالغ الارتياح، وأنا أغادر الدكّان.

6 فبراير (شباط)

ثلاثة أشخاص مسنّين يقيمون، حاليّاً، في شقّة «بافي» ويتميَّزون بكونهم بالغي الهدوء. سيكون الجوّ قارس البرد، في الأسفل، دون جهاز تدفئة. تسلَّمت نسخة من كتاب «بافي» «Lady of the Beasts : The Goddess and her Sacred Animals»؛ يتعلَّق الأمر بعمل بالغ الإثارة[1].

25 فبراير

كلّ يوم، تقريباً، أتوصَّل بكتب، من هنا وهناك، ولا أستغني عن عبد الواحد، بخصوص تجاوز عوائق الرقابة والجمارك وموظَّفي البريد، لكنه عندما عاد، أمس، إلى السيّارة التي كنت أنتظره فيها، كان في حالة هياج مفرط، حيث عنّفني بهذه العبارات:

– ... كتاب يُقتَل الناس بسببه، في العالم أجمع، ومع ذلك تريد التوصُّل به. هذا أمر سيِّئ، والناس في إدارة البريد غاضبون.

سألته:

– أي كتاب تعني؟ وما موضوعه؟

نزلت من السيّارة بغية الدخول إلى المبنى، حيث رمقني كافّة المستخدمين بنظرات شزراء. أحدهم خرج لاستقبالي وتقديم بعض الإيضاحات.

---

(1) كتاب «سيِّدة الوحوش: الإلهة وحيواناتها المقدَّسة» يلقي نظرة حول هذه الربّة في المجتمعات القديمة، في آسيا وأوروبا والشرق الأوسط، مع 400 صورة ورسوم، بعضها بالألوان.

– لديك هنا كتاب ممنوع.

سألته، إذ ذاك، ما إذا كان بإمكاني الاطِّلاع عليه، غير أنه أجابني بأنهم أعادوا تلفيفه، ولا أحد بإمكانه إلقاء نظرة عليه.

– هل يمكنك السماح لي برؤية مظروفه، حتى أعرف– على الأقلّ– من أين جاء؟

ذهب إلى ما وراء الشبّاك، وإثر ذلك، عرض عليَّ– وسط العتمة– لفافة، وهو يمسكها من الخيط الذي شُدَّ حولها، كما لو كان يأنف المساس بها. حدست أن الأمر يتعلَّق بكتاب أثار موجة تعاليق، بفضل (الخميني)[1]، لكني كنت أجهل، جهلاً تامّاً، من الذي أرسله إليَّ. موظَّف آخر مكفهرّ الوجه، دنا منّي وهو يقول:

– إنها إرسالية غير قانونية، ولا يمكنك الحصول عليها.

أجبته:

– لست أريدها.

26 فبراير

في مبنى البريد، أراد المستخدمون، اليوم، معرفة ما إذا كانت الشرطة قد زارتني، فأجبتهم بالنفي.

(1) يتعلَّق الأمر بكتاب «آيات شيطانية»، لسلمان رشدي.

- لقد جاء رجال الشرطة إلى هنا، وطلبوا اسمك وعنوانك، واستلموا الكتاب بغية إرساله إلى الحكومة في الرباط.

1 مارس (آذار)

بما أنه لا علم لي بمجيء رجال الشرطة، فقد افترضت أنهم سوف لن يأتوا إليَّ، لكن الكتب التي سأتوصَّل بها، من الآن فصاعداً، سوف تستغرق يوماً إضافياً، تكون فيه موضوع فحص أدقّ ممّا كان يحدث من قبل.

10 مارس

يعتزم برنامج تلفزي آخر إرسال فريق إلى هنا، في الأسبوع القادم. يحمل البرنامج اسم «ex-libris». إنني قلق من احتمال ألّا تقوم «كلود توما» بترجمة روايتي «The Spider's house- بيت العنكبوت». وإذا كانت لم تشرع، بعد، في العمل، فهل يعني ذلك أنهم سيبحثون عن مترجم آخر لإنجاز ترجمة سيِّئة للكتاب، شبيهة بعمل مترجم كتابي«مذكِّرات مترحِّل- without stopping» إلى الفرنسية؟

18 مارس

فريق التلفزة الفرنسية موجود هنا، اليوم. بدا المكلَّف بإجراء الحوار معي (وهو شخص ذكيّ ولطيف) مصدوماً من الحالة المتواضعة لشقَّتي،

وقال إنه كان يتوقَّع أن يجدني أعيش في الجبل، في منزل كبير، تحيط به حديقة جميلة. سألني بصدق بَيِّن:

– هل تحبّذ العيش، على هذا النحو، فعلاً؟

إثر ذلك، قرَّر تصوير الحوار معي بفندق «المنزه»، باعتباره ديكوراً مناسباً لانتظارات جمهوره.

19 مارس

لم يستغرق الحديث مدّة طويلة. الآن، انتهى كلّ شيء. يُنتظر بثّ التسجيل يوم 5 أبريل المقبل.

27 مارس

قَدِمَ، من باريس، شاب يعمل في صحيفة «Le Quotidien»، لوضع بضع أسئلة عني. لم أتمكَّن من إعطائه متَّسعاً من الوقت.

28 مارس

جاءت «كلود توما» من باريس، لقضاء بضعة أيّام هنا. إنها لا تشتغل، حالياً، على ترجمة «بيت العنكبوت»، وهذا خبر سيِّئ، لا أستطيع تحمُّله. هي محقَّة في إلحاحها على ضرورة الحصول على عقد من الناشر «Quai

Voltaire»، الذي لم يتوقَّف عن إزجاء الوعود بإرسال هذه الوثيقة، لكنه لم يفعل بعد. ذلك ما يبدو لي غامضاً بعض الشيء. ولقد استخلصت من ذلك- بالطبع- أنهم كلَّفوا شخصاً آخر بإنجاز العمل بسرعة، خاصّة أن كلود كانت مدقِّقة، وغير متسرِّعة، وذلك هو واجب المترجم.

31 مارس

مساء أمس، ذهبت لتناول العشاء مع «كلود» مصحوباً بـ«بيرجيل هويل Bergil Howell»، الذي سحره جمال منزلها. كانت الغابة معتمة، وجانب من القمر يضيء نُتَفاً من الزبد، عندما يصطدم الموج بالصخور، دون جلبة. يزورني محاوري يومياً، وأنا أعتقد أنه يهيِّئ مقاله عني لمجلّة «Globe»[1].

3 أبريل (نيسان)

مصوِّران جاءا من روما. كانا متيقِّنَيْن من أنه توجد مقاهٍ تقليدية أمام البحر. وبعد أن تركتهما يلفّان المدينة كلّها بالسيّارة، دون العثور على مكان يرضيهما، اقترحت عليهما مقهى «الحافة». أحدهما كان في موسكو، في الأسبوع الفارط، وكان يتحدَّث عنها، فيما كان الآخر يلتقط لي صورة تلو أخرى، وهو يكرِّر، دون كلل، بين (كليشيه) وآخر: «انظر في اتِّجاهي».

(1) مجلّة شهرية فرنسية، أُحدثت سنة 1985 في باريس، من طرف الصحافي والكاتب «جورج مارك بنامُّو» . توقَّفت عن الصدور سنة1992، وكانت المجلّة قد أرسلت «بيرجيل هويل» لإجراء حوار مع «پول پولز».

4 أبريل

جاء «سوومي لافال- Suomi Lavalle» [1]، بدوره، هذا الصباح، لالتقاط حوالي مئة صورة لي، وذلك بعد أن رافقني إلى حديقة الشيخة فاطمة الصُّباحِ (لا أعرف كيف أسمِّيها، لكني أعلم أنها كريمة أمير الكويت). أكنّ ودّاً كبيراً لهذه السيِّدة.

20 أبريل

مشاكل مع البريد. أسطوانة جديدة تتضمَّن إحدى عشرة أغنِية من أغانيَّ، صدرت في الولايات المتَّحدة، وتَمّ تسجيلها على كاسيت أُرسِل إليَّ من نيويورك. أحد مستخدمي البريد مزَّق الغلاف، واستلَّ الكاسيت، ثم أغلقه بلاصقات رسمية. اختفت الأغاني، إذن! أفترض أن هذا التصرُّف له علاقة بكتاب سلمان رشدي، الذي أرسلته «كارول أردمان- Carol Ardman» [2]، من قبل. كان عليها أن تفكّر مرَّتَيْن في الأمر، وهو ما فعلته، ولاشكّ؛ (فقد كتبت، في الأسبوع الأخير، تعترف بأنها مسؤولة عن إرسال ذلك الكتاب).

23 أبريل

رمضان يجعل الأمور صعبة. مرّة أخرى، برهن المرابط أن فترة الصيام هاته تؤثِّر عليه تأثيراً مثيراً للحنق. أعرف أنه لا يحبّ عبد الوهاب إطلاقاً،

---

(1) مصوِّر فوتوغرافي، وصاحب كتاب «Hashish» الصادر عن «Quartet books»، عام (1984).

(2) كاتبة أميركية، صديقة لـ«پول پولز»، وعاشقة لمدينة طنجة . لها كتاب حول هذه المدينة، يحمل عنوان «Tangier : Love story».

لكنه تمكَّن من التصرُّف معه بصورة عادية، إلى أن حَلّ رمضان. في هذا الوقت، وعندما لاحظ أن عبد الوهاب كان يأكل ويدخِّن عوض أن يصوم، انقلب نفوره منه إلى غيظ أهوج؛ ففي هذا الزوال، وصل، فوجد (ع) متكَّئاً على وسادة وهو يحتسي كأس شاي. انقض على مائدة الطعام، ورفعها، ثم قذف، بها وبما عليها من شاي وغيره، في وجه عبد الوهاب، مُرفِقاً تصرُّفه هذا بسَيْل من الشتائم، ينطقها بالعربية وبالإسبانية.

ابنته الصغيرة، التي ستكمل سنواتها الخمس، في الأسبوع القادم، ظلَّت جامدة، مذهولة. ستقع- ولاشكّ- مشاهد أخرى من هذا القبيل، قبل نهاية شهر الصيام؛ ذلك أن عبد الوهاب يأتي كلّ يوم لإعداد طعامي، والمرابط لا يحتمل، بتاتاً، فكرة كونه يرفض الالتزام برمضان، مثل كلّ الناس.

24 أبريل

ظننت أنني استرحت من توافد الفرق التلفزية، لكنهم جاؤوا من ميلان، وأمستردام، ولندن، وباريس، ونيويورك. وأنا أنتظر، الآن، فريقاً آخر سيقدم من جنيف. أمس واليوم، استقبلت زوجين ألمانيَّين سجَّلاً معي حديثاً لإحدى الإذاعات في برلين. كانت المرأة تشرع في أسئلتها- عادةً- بكلمة (لماذا؟)، فأثرت انتباهها إلى أنه ليس بالإمكان الإجابة- لا بذكاء ولا بصدق- على كلّ سؤال يبدأ بـ (لماذا؟)، لكنها سألتني على الفور:

- لماذا إذن؟

بعد ذلك، تراجعتُ عن سلوكي هذا، وصرَّحت لها بأن ملاحظتي لا تخصّ

سواي، لكن الجواب لم ينفع معها في شيء، حيث ردَّت قائلة:

– صحيح، فنحن لا نتحدَّث إلّا عنك.

25 أبريل

فتَيان مغربيّان شاحبان، رنّا جرس باب شقّتي، حوالي الثانية والنصف بعد الزوال. لم يكونا، في الظاهر، يدركان ماذا يقولان. إثر ذلك، وصل المصعد، وخرج منه عبد الواحد. قال أحدهما، أخيراً:

– ابنتك تريد رؤيتك.

وعندما اعترضتُ، بأنه لا ذرية لي، اكتفيا بالضحك. حينئذ، تدخَّل رفيقه قائلاً:

– بل لديك بنت، وهي هنا، واسمها «كاترين»، وهي ألمانية. إنها لم ترَكَ قطّ، لكنها تريد، الآن، التعرُّف إليك.

أجبته:

– لا أريد رؤيتها.

إذ ذاك، تدخّل عبد الواحد، مؤكِّداً لهما أن في الأمر خطأ، لكنهما لم يعبأا بما قال.

– سنحضرها إلى هنا في الخامسة عصراً، اتَّفقنا؟

– كلّا، كلّا،كلّا. ليس لديَّ أيّة بنت. شكراً، ولا أودّ رؤيتها.

ذهبا إثر ذلك. دخل عبد الواحد، وهو يؤكِّد لي أن الأمر يتعلَّق بمنحرفين، وأن عليَّ ألّا أسمح لهما بدخول الشقة فيما إذا رنّا الجرس، مجدَّداً. كنت شبه متأكِّد من أنهما سوف لن يعودا. لكن، بعد عودتي من السوق والبريد وذهاب عبد الوهاب إلى بيته، رنّ الجرس مرّة أخرى، فكان الفتيان، وخامرني شعور بأنهما يسندان امرأة. كانت المرأة تضع على رأسها قبَّعة ذات حوافّ واسعة، تخفي عينيها، فلم أتمكَّن من تبيُّن ملامح وجهها.

قال الفتَيان:

- ها هي ابنتك. لقد جاءت من «إِسِّن- Essen».

بدا لي كلّ ذلك غريباً وتافهاً، إلى درجة أني لم أتمالك نفسي من مقاومة غواية السماح لها بالدخول، طالباً من الفتَيَيْن المغربيَّيْن المكوث في بسطة السلم. وبغية تقديم المرأة نفسها، استلَّت من جيبها نسخة من رواية (So Mager Fallen Let it come down) في طبعة جيب، وقالت بإنجليزية موسومة بتلفظ جرماني قويّ:

- إنني خجلة. لكنني سأغادر غداً، إلى ألمانيا.

بدا لي، من كلامها، أنها لم تتخيَّل وسيلة أخرى للِّقاء بي، خلال الأمسية الوحيدة التي ستقضيها في طنجة، سوى أن تذهب إلى «سوق الداخل»، وتلتمس من أيٍّ كان أن يقبل الاستماع إليها، ويرافقها إلى بيت أبيها المدعوّ «پول پولز». اتَّفق الفتَيان معها على مبلغ معيَّن، وأشفقا على حالها، زاعمَيْن أنهما يعرفانني، مع أنه لم يسبق لهما أن رأَياني. كان حديث المرأة الشابّة مشوَّشاً، يصعب تتبُّعه. وحينئذ، تساءلت عن طريقة للتخلُّص منها. في أثناء هذيانها، صرَّحت لي بأنها تودّ أن تنتحر، فقرَّرتُ

أنه آن أوان طردها. قدَّمتُ لها قدح شاي، فشرحت لي، في أثناء احتسائها له، أنها كانت تأمل أن تموت في «مرزوقة» فوق قمّة تلّ رمال كبير، لكن نذرها لم يتحقَّق. وعندما أجبتها بأن هذا الأمر مؤسف، هزَّت رأسها، قبل أن تتراجع عن قولها، في الختام:

- لا أريد أن أموت.. أريد، فقط، أن أتغيَّر.

بعد ذلك، أعادت صبغ شفتيها بأحمر الشفاه، وهي ترمقني من تحت حوافّ قبعتها. قدَّمت لها نسخة ممهورة بتوقيعي من «الغابة الحمراء Gesang der Insecten»، فشعُرَتْ بخيبة الظنّ عندما اكتشفتْ أن سياق الكتاب هو أميركا اللاتينية. بديهيّ أنها كانت تعاني من تركُّز وسواسي؛ فهي لا تريد أن تقرأ سوى كتب عن شمال إفريقيا. عندما تخلَّصتُ منها، في نهاية المطاف، كان رفيقاها قد مضيا. آمل ألّا تكون قد دفعت لهما مسبقاً، وأنهما ما زالا ينتظرانها في أسفل العمارة، ذلك لأنها قالت لي بأنها لا تعرف، تماماً، كيف تعود أدراجها إلى الفندق.

26 أبريل

هناك عشّ لقالق كبير، مبنيّ في قمّة مدخنة أحد المنازل. في كلّ فصل ربيع، تأتي عائلة طيور، فتمكث هناك شهرين، تقريباً، ثم تواصل طريقها. في السنة الفارطة، جاء- أيضاً- لقلقان صغيران، لم يكونا يكفّان عن التململ حول العشّ، والتدرُّب على الطيران، بالقفز في الفراغ، مع تحريك الجناحين. وعندما ضجر اللقلق الذكر- ولاشكّ- من هيجانهما، ابتنى لنفسه عشّاً آخر، في ذروة عمود كهربائي، على بعد حوالي ثلاثين متراً من

العشّ الأوَّل. خلال فصل الشتاء، دمَّر بعض العمّال هذا العشّ. أمس، لاحظت أن اللقالق عادت، ومرّة أخرى كان هناك عشّ كبير في قمّة العمود الكهربائي. هل هما الزوجان أنفسهما، في كلّ سنة؟ وهل يعود اللقلقان الصغيران رفقة والديهما؟

لم أشاهد هجرة اللقالق منذ مدّة طويلة (على الأقلّ، منذ ثلاثين سنة)، كنت أنزل، حينها، إلى شاطىء «مرقالة» لتأمُّل تشكيلتها البديعة التي تتألَّف من مئات الطيور، التي تحلّق على علوٍّ منخفض، إلى درجة أنني كنت أسمع خفق أجنحتها المعتاد. في فصل الربيع، تعبر اللقالق مضيق جبل طارق نحو إسبانيا، ثم تعود في فصل الخريف. لقد بدت لي اللقالق، دوماً، بالغة الجمال في أثناء الطيران، رغم سيقانها الشبيهة بقضبان تتدلّى تحت جسومها. إنني أحبّ- خاصّة- أعناقها الطويلة، وأجنحتها الكبيرة التي تصطفق، بتؤدة وبطء.

28 أبريل

نادراً ما تمرّ ظهيرة دون أن أستقبل زيارة أحد، لم أره قطّ، وسوف لن أراه بعد ذلك، دون شك. يبدو لي كلّ هذا الوقت المكرَّس للغرباء وكأنه يجمِّد وجودي، وكما لو كان ما يزال أمامي عدد لا متناهٍ من السنين. بيد أن هذه الزيارات، لم تغدُ خطيرة إلّا منذ سنة أو سنتين، وزاد من خطورتها غياب الهاتف: الناس يأتون، ثم يطرقون الباب، فيغدو رفض استقبالهم أمراً صعباً. هذا الأسبوع، استقبلت، في كلّ ظهيرة، زائراً.

10 ماي (مايو/أيار)

أتساءل، أحياناً: إلى متى سأواصل تناول أكلاتي في الفراش؟ بعد عمليّة بتر العصب الوُدّي، اعتبر الطبيب ذلك أمراً حسناً. أمّا اليوم، وبعد مرور ثلاث سنوات على إجراء العملية، ما زلت أواصل هذه العادة. يأتي عبد الواحد، في منتصف النهار، لإعداد طعام الغداء، ثم يأتي المرابط بالزاد لينهمك في إعداد عشائي. ومع أن الفطور هو أهمّ الأكلات الثلاث، إلّا أن المرابط يبدو وكأنه لا يفهم هذا؛ فمنذ زمن معيَّن، كفَّ عن القدوم في الصباح، وهو ما يعني أن عليّ، بمفردي، إعداد فطوري وحمله إلى طاولة المطبخ. إنني أعتبر نفسي محظوظاً لوجود أصدقاء يوافقون على تقديم الطعام لي، في الفراش. مع ذلك، يقول عبد الواحد لي:

- أنت لست عليلاً، فلماذا يجب أن تأكل، دوماً، في الفراش؟

المغاربة يكرهون، طبعاً، البقاء في الفراش، حتى لو كانوا مصابين بالحمّى، وهم يعتقدون أن كلّ مريض قابع في الفراش هو مشارف الموت.

جاء أحدهم من نيويورك، حاملاً نسخة من تلك البيوغرافيا التي تعمَّدَ «سَاوْير- لاَوْسَانُو» تأليفها عني، مع أني طلبت منه ألّا يفعل. لقد تبيَّن انزعاجه من رفضي لمساعدته واضحاً، بحيث أصبح كتابه- شاء ذلك أم أبى- عبارة عن سباب وقذف. ولإنجاز عمله، كان عليه استعمال سيرتي الذاتية، بيد أن الفرق، بين هذه السيرة وكتابه كامن في كونه تعمَّد وضع صدقية أقوالي موضع شكّ، مُحِلّاً محلَّها رؤيتَه الخاصّة للوقائع. لاشكّ في أنه وجد هذه الرؤية أكثر إثارة، بحيث جعل مني كائناً مفترياً. بإمكاني سرد لائحة، لا حصر لها، من الأخطاء التي اعتمد فيها، فقط، على ما يقال، أو على مجرَّد ظنون صادرة، بداهةً، عن سوء طوِيّة. لقد كان «سَاوير-

لاَوْسَانُو» مفرط العجلة في الإصغاء لبعض التَّرهات المؤذية والجارحة، مدرجاً سخافاتها في كتابه، دون أخذ الوقت الكافي للتثبُّت من صحّتها، وهذا شأن مثير للقلق، إذ- على الأقلّ- كان من الأنسب نسبة المعلومات المزعومة إلى مَنْ زوَّده، أو زودَتْه، بها. على العموم، إن ما لا يُحتمل هو ميله إلى تخيُّل أنني قمت- عمداً- بتزوير بعض الأحداث، ذلك أن الحقيقة، بالنسبة إلى نوع الكتابة الصحافية، التي يعشقها المؤلِّف، تكون شاحبة وغير مثيرة. إن الصورة التي قدَّمها عني- بوصفي شخصاً متسوِّلاً، إبّان الثلاثينات- لتستثيرُ سعاري، مثلما أثارت غضبي تفسيراته الشخصية لسفر «جين پولز» إلى البرتغال، في سنة 1958. لقد ذهبنا، جين وأنا، كلّ يوم، وخلال أسبوعين، إلى السفارة الأميركية في البرتغال، للحصول على جواز سفر جديد لها، حيث انتهت صلاحيّة القديم، عندما كنّا في «جزيرة مَادِيرْ»[1]، فكانوا يجيبوننا، في كلّ مرّة:

- كلّا، علينا استشارة الــ«F.B.I» (مكتب التحقيق الفيدرالي).

واصلنا الاتِّصال بالسفارة، في انتظار ردّ سريع من واشنطن، لكن الردّ لم يكن سريعاً، بل كان سلبياً:

- على السيِّدة پولز أن تعود، فوراً، إلى الولايات المتَّحدة، وسنمنحها تصريحاً بالمرور عوضَ جواز السفر.

إثر ذلك، ذهبت «جين»، بعد يوم أو يومين. لكن «س- ل» أقرَّ أن وزارة الخارجية أكَّدت له أن تلك المسطرة مستحيلة، واستنتج، من ذلك، أن سردي كان محض تخييل، وأنني ابتكرت تلك «الحيلة» للتخلُّص من

(1) أرخبيل برتغالي في المحيط الأطلسي، مؤلَّف من جزيرة «مادير»، ومن جزر صغيرة أخرى.

«جين». إنه كتاب سبّ وقذف، لكن، يتعذَّر عليَّ- للأسف- عرضه على القضاء[1].

12 مايو

توصَّلت بعدّة رسائل بعثَتْها «خيريس» من نيويورك. البشير يوجد بصحبتها، وهي جادّة في البحث له عن عمل. لقد تمكَّنت من دفعه للانخراط في فرقة «La Mama»[2]التي ستقوم بتقديم مسرحية «The Night before Thinking»، التي كان أحمد اليعقوبي يأمل في تقديمها منذ سنوات، لكني اعترضت بسبب حذف مساعده لمشهد الطفل الصغير المغطّى جسمه بحدقات العيون. لقد بدا لي هذا الطفل، في الواقع، أهمّ شخصية في الحكاية. المسرحية عُرضت أخيراً (دون طفل، بطبيعة الحال)، وفيها عزف البشير على الغيطة، والناي القصبي، وحتى على الكنبري، لكن «لا ماما» أثارت حنقه؛ ما دفع «خيريس» إلى الاستنتاج بأنها خرقاء. في إحدى الرسائل، كتبت «خيريس» تقول إنها اقترنت بالبشير «في مسجد قريب»، وذلك ما سيمكِّنه من تمديد مقامه في الولايات المتِّحدة، دون مشاكل. وهو أمر مهمّ، إذ يأمل في أن يسافر في جولة مع فرق مختلفة، من بينها فرقة «رولينغ ستونز»[3].

(1) رُوِيت هذه الوقائع في كتاب «پول پولز» «بدون توقُّف» الصادر عن الناشر «بيتر أوين»، سنة1972، في الصفحة (452). ورواها «كريستوفير ساوير لاوسانو» في كتابه «المتفرِّج اللامرئي: سيرة پول پولز» الصادر عن الناشر «Paladin»، سنة 1990، في الصفحة (343).

(2) مؤسَّسة ثقافية، ومسرح غير ربحي، في نيويورك. تَمَّ تأسيسها من طرف «إلين ستيوارت»، سنة 1961.

(3) فرقة روك بريطانية، أُسِّست في لندن، سنة 1962.

25 مايو

عوض تنظيمها جولة أميركية، شرعت «خيريس» في تنظيم جولة في المغرب، سينتقل «ميك جاغر»[1]، خلالها، إلى جهجوكة، صحبةَ فريق مصوِّري «B.B.C»، ليعزف مع البشير، في القرية التي هي مسقط رأس هذا الأخير. سيصل كلّ من «خيريس» والبشير، في الرابع من يونيو القادم. أمّا فريق «ستونز» فسيصل، بضعة أيّام، بعد ذلك.

2 **يونيو** (حزيران)

وصل أخيراً، من نيويورك، كلٌّ من «كرايزي كيت» و«فيليب»، وجاء الأخير مُثقّلاً بالهدايا. لم يكن ينقص الحفل في شقّتي، سوى صنوبرة رأس السنة. كانت «كرايزي كيت» مفتونة بلقاء «جاغر»، لكني كنت متشائماً من تحقيق المشروع؛ لشكّي في أن فريق «B.B.C» سوف يكون لديهم الوقت الكافي للانكباب على كافّة الإجراءات الضرورية، لإدخال آليّات التصوير إلى المغرب. أتذكّر أن الهولنديَّين كان عليهم أن يتردَّدوا، بين بلدهم والمغرب، ثلاث مرات، جيئةً وذهاباً، قبل أن يتمكَّنوا من إقناع موظَّفي الجمارك بالسماح لهم بإدخال آلات التسجيل.

أهمّ هدايا «فيليب»، في نظري، أسطوانتان حديثتا العهد: إحداهما هي- Music for a Farce (صادرة عن Reference Recording ,chicago pro Musica)، والثانية تتضمّن أغاني من أداء «وليام شارب-

(1) مغنٍ وملحِّن ومؤلِّف موسيقي بريطاني، من مواليد سنة 1943 في «دارتفورد»، وأحد مؤسِّسي فرقة «رولينغ ستونز».

William Sharp»[1] الذي قدَّم، بحسب رأيي، الصيغة النهائية لإحدى عشرة أغنية من أغانيَّ القديمة. تبدوالأغاني المؤدّاة في «Farce» تلقائيّةً وبالغة الطراوة، إذا قورنت بالتسجيلات القديمة الصادرة عن شركتَيْ «Columbia»، و«MGM»، والتي قضيت سنوات في الاستماع إليها.

3 يونيو

كتبت إلى «ساوير- لاوسانو» أخبره بنقمتي على تلك التلميحات الجارحة الواردة في كتابه. إثر ذلك، رَدّ عليَّ قائلاً: «بإلحاح من ناشري، أجريت تحقيقاً لدى وزارة الخارجية، فنَفَوْا، بصورة قطعية، بل عنيفة، أنهم قاموا بإجراءات من ذلك القبيل... إنني أتفهَّم- بأثر رجعي- كيف تمكَّنتُ من إعطاء انطباع بأنني لا أصدق روايتك للوقائع. في الحقيقة، حاولت، فقط، عرض صيغة أخرى للأحداث». كان عليه أن يستعمل حنكته وطاقة الابتكار لديه، للإتيان بثلاث أو أربع صيغ إضافية عن مسألة خروج جين «پولز» من البرتغال.

5 يونيو

«خيريس» والبشير، موجودان، حالياً، في طنجة، وهما مهتاجان ومنفعلان لوصول «ستونز»، لذا تحاشيت التعبير لهما عن تشاؤمي. من جهتهما، كانا يحتاطان بالغ الحيطة حتى لا يقوما بزيارتي إلّا عندما يكونان متأكِّدين من أن المرابط غير موجود في شقَّتي. البشير هو، الآن، زوج «خيريس»؛ لذا هو يعتبر المنزل الذي شُيّد بأموالها ملكاً له، بصفة

(1) منشد أميركي، أداؤه من صنف «Bass-Bariton». حصل على جوائز عديدة.

جزئية[1]. أعتقد أنه يعرف أن نسبة استرداده للمنزل لا تزيد على واحد في المئة، لكونه مسجَّلاً باسم الزُّهرة[2] وليس باسم المرابط.

7 يونيو

وصل بعض تقنيِّي «B.B.C» مسبقاً، لتصوير «جاغر» عند نزوله من الطائرة. فكَّرت: يبقى ذلك رهيناً بمجيئه إلى طنجة. رئيس الفريق يبدو مقتنعاً بأن «جاغر»- لا محالة- قادم.

8 يونيو

بدت قناعات كلّ واحد منا وقد انهارت؛ إذ رفض الجمركيون السماح بدخول تجهيزات «B.B.C». ضجّة كبيرة، ومكالمات هاتفية لا حصر لها، مع لندن. وكيل أعمال فرقة (ستونز) هدَّد: إذا لم تمرّ الآليّات، بالجمارك، قبل التاسعة من صباح غد، فسألغي العقد. «خيريس» جاءت هذا المساء، وهي تلهث من القلق، قائلة:

- يجب أن تكلَّم الملك (وهي تدري أنني لم ألتقِ به قطّ، وحتى لو كان الأمر خلاف هذا، فلن أهاتفه).

إثر ذلك، صرَّحتْ بأنها زارت للّا فاطمة الزهرة، في منتصف النهار، فقيل

(1) إشارة إلى منزل «مغايغ»، الذي شيَّده محمَّد المرابط.

(2) زوجة محمَّد المرابط.

لها أن تهاتفها فيما بعد. عقب ذلك، وجَّهت نظرها إليّ:

– لكنك تعرف للّا فاطمة الزهرة.. هاتِفْها، وقل لها إنه من بالغ الأهمِّيّة، بالنسبة إلى المغرب، أن تقوم «B.B.C» بتصوير الحفل.

كنت أرتدي، حينئذ، معطف حمّام، وأنا في غرفة «بافي جونسن»، في الشقّة السفلى، صحبةَ آخرين. كانوا جميعاً مقتنعين بأنه من واجبي، على الأقلّ، أن أهاتف للّا فاطمة الزهرة، وأشرح لها الوضع، وهو ما يبدو أن «خيريس» لم تُحسن القيام به بسبب مشاكل لسانية (لقد غاب عني أن للّا فاطمة الزهرة كانت تجيد الحديث بالإنجليزية). اعترضتُ قائلاً:

– لكن دارجتي ليست جيِّدة، حتى أستعملها في حديثي.

اقترح عبد الوهاب، حينئذ، أن أهاتف للّا فاطمة، مُدْلياً لها باسمي، قبل أن أنقل إليه السمّاعة. ذلك ما قمنا به، فطلبتْ للّا فاطمة من عبد الوهاب أن يعيد الاتِّصال بها، بعد نصف ساعة. وعندما هاتفَها هذا الأخير مجدَّداً، بدا له وكأنها كانت تتحدَّث في هاتفين، في الوقت نفسه. كانت هناك لحظات انتظار وترقُّب طويلة، وكان الموجودون يمعنون النظر خلالها في عبد الوهاب، محاولين التعرُّف، من تعابير وجهه، إلى الكلمات الصادرة من قصر مولاي عبد العزيز. بين آونة وأخرى، كان يكتفي بالقول: «نْعام.. آللّا». تواصلت المحادثة– إذا شئنا وصف ذلك بأنه محادثة، فعلاً– حوالي عشر دقائق. علَّق عبد الوهاب، أخيراً، السماعة، معلناً أنها وعدته بأن تهاتف الجمارك طالبة السماح بمرور تجهيزات التلفزة. حينئذ، بدا لنا أن مجيء «الرولينغ ستونز» إلى طنجة، مشكوك فيه، وقلت إنني لست على يقين من أن للّا فاطمة الزهرة لها سلطة لإجبار الجمركيين على فعل أيّ شيء. عارضني كلّ من البشير وعبد الوهاب، وصرخ هذا الأخير:

- رغباتُها أوامر، في طنجة.

قلت له إنني آمل ذلك، ثم صعدت إلى شقَّتي لأنام.

9 يونيو

عبد الوهاب، الذي كان مهتمّاً، تقريباً، بتصوير الشريط، مثل البشير، مرّ بي في منتصف النهار، وأخبرني أن «جاغر»، و«كيت ريتشارد»[1] حلّا في فندق «أنتركونتيننتال»، وأنهما رفضا غرفتَي (السويت) اللتين حَجَزتهما «خيريس» (يحاول عبد الوهاب، الذي سيتزوَّج في الشهر القادم، الاستمتاع، أكثر ما يمكن، بوقته، قبل العرس).

أُعطِيَ الإذن لمرور التجهيزات، إذن، ووصل فريق «ستونز» قادماً من لندن. «خيريس»، التي لم تَرْتَب لحظةً، في نجاح مسعاها، تنقَّلت، طيلة يوم أمس واليوم، من مكان إلى آخر، بحثاً عن الديكور المناسب لتصوير الشريط. لم يكن لديها متَّسع لا للأكل ولا النوم؛ وهو ما يعني- بالتأكيد- أن صحّتها ستعتلّ بعد يوم أو يومين. لقد وافق «مالكولم فوربس»[2] على وضع كافّة التجهيزات في حديقة قصره، لكن العاملين في التلفزة رفضوا المكان، مفضِّلين ساحة منزل «أكعبون» التي سبق أن اقترحتُها، لكونها تشكِّل ديكوراً أكثر أصالة. وصل «جاغر»، حوالي الخامسة مساءً، رفقة عدد من الناس، بحيث ضاقت غرفتي بهم. كان بينهم «كيت ريتشارد»

(1) موسيقيّ ملحِّن، وعازف قيثار بريطاني. أحد مؤسِّسي فرقة «رولينغ ستونز». من مواليد سنة 1943 في دارتفورد.

(2) ثري أميركي (1919 - 1990)، صاحب مجلة Forbes. كان له قصر ومتحف في طنجة.

الذي حيّاني، ثم مضى قائلاً إنه سيذهب لينام. عقب ذلك، جلس «جاغر» بجواري، وشرعنا في الحديث. لم ألاحظ، فوراً، أن حديثنا كان قيد التصوير. وبعد ربع ساعة، توقَّف التصوير، فبادرني «جاغر» قائلاً:

– إنني متعب. لقد أيقظني أطفالي عند الفجر. أنت تعلم أن الأحد هو يوم راحة لكلّ الآباء، لكنهم أصرّوا على منحي هداياهم، اليوم، قبل السفر. سأراك غداً، في الحفل.

10 يونيو

بعد الظهيرة، قضيت ساعتين قاعداً في ساحة منزل «أكعبون». كان هناك ستّة عشر فرداً من «جهجوكة»، مصحوبين بغيطاتهم وبناديرهم، وهم يرتدون جلابيب بنِّية ثقيلة. كان الطقس مفرط الحرارة وغير مناسب تماماً، لتلك الجلابيب الصوفية. لقد كانوا مدهشين عندما عزفوا موسيقى رائعة، لكن الله وحده، يعلم كيف سيكون أثر تصوير ذلك في الشريط، مع الاعتراف بأن ذلك ليس بالأمر المهمّ.

البشير أدّى معزوفات فردية عديدة، دون طبول، والأصوات الوحيدة التي صدرت عن «ميك جاغر» كانت عن طبل. لعله غنّى بعد انصرافي، لكني أشكّ في ذلك. في حجرة مجاورة كنت أسمع، عندما تتوقَّف الموسيقى، نوعاً شبيهاً بعزف على الأرغن، يتواصل دونما نهاية: نَبْرٌ منتظم وخفيض، يتموقع في أقلّ من نصف المقام الذي تعزف فيه الغيطات والنايات القصبية.

12 يونيو

تناولت طعام الغداء، في الجبل، مع «غلوريا كيربي Gloria Kirbi»[1]، وكان مدعوُّوها القادمون من مدريد يعرفون كلّ شيء عن المخرج «پيدرو ألمودوفار»[2]، الذي يبدو أنه تخصَّص في الأفلام الفكاهية. من الصعب معرفة لماذا وقع اختياره على قصّتي «Time of friend ship»، علماً بأنها لا تتضمَّن أيّة مواقف من قَبيل الكوميديا، إلّا إذا كانت الغاية، بداهةً، هي معالجة الحكاية، على مستوى آخر. وفعلاً، لن يكون صعباً تحويل مشهد دار الحضانة إلى هجاء ساخر، حيث يكفي إضافة ثلاث أو أربع سنوات إلى عُمْر (سْليمان) لتغيير طبيعة الصلة التي تجمعه «فراولين ويندلين». لكن، كيف- بالله- يمكن إدراج الفكاهة في كلّ هذا؟ لقد ألمح المدعوّون إلى مائدة الغداء، إلى فكرة، مفادها أن «ألمودوفار» يعتقد بأنه استنفد قريحته الكوميدية، وأنه يرغب، من الآن، فصاعداً، في إضافة بُعد جادّ إلى أعماله السينمائية.

16 يونيو

أمس، عقد السفير الأميركي، في الرباط، موعداً معي للّقاء به في حان «المنزه». كان اللقاء لطيفاً للغاية، لكنني لا أعلم- بتاتاً- لماذا رغب في الحديث إليَّ، وما زلت أجهل ذلك، إلى الآن!

---

(1) أميركية مقيمة في طنجة. قامت بتنظيم معرض مئوية ميلاد «پول پولز» الذي شكَّل نواة تأسيس جناح «پول پولز» في المندوبية الأميركية في طنجة.

(2) مخرج سينمائي معروف. وُلِد في «كالسادا دي كالاترابا»، في إقليم «سيوداد ريال»، سنة 1949.

20 يونيو

بعد الغداء، ذهب «رودريغو» إلى مرقالة، للسباحة في شاطئ (الصندوق)، وذلك ديدنه- في الغالب- عندما يكون الطقس مناسباً. وقبل انسداد شرياني، كنت، بدوري، أذهب إلى هناك كلّ يوم، تقريباً، فأحذو حذو الشاطئ، وأنا أتسلَّق الصخور، قافزاً من صخرة إلى أخرى. كان ذلك هو نشاطي المفضَّل: أثب مثل ظبي، واثقاً من رسوخ قدميّ، وعندما كان يقال لي إنني أشبه جَدّياً، كنت أمزح، مشيراً إلى برجي، قائلاً:

- بطبيعة الحال، أنا من مواليد برج الجدي.

أمّا اليوم، فإنني أكاد أتمكَّن من الدنوّ من الشاطئ، مصحوباً بشخص يدفعني ويشدّني. إنها لبلاهة أن يدِّعي المرء أن الزمن لا تأثير له فيه.

24 يونيو

مساء أمس، أرسل «بيرتولوتشي» سيّارة، لنقلي إلى «المنزه»، قصدَ تناول العشاء معه. في بداية ذلك، قال لي:

- أخيراً، أخذت الأمور تتقدَّم.

فأجبته:

- لقد قضيت سنتين، وأنا أتساءل.

كلّ القائمين، من قريب أو من بعيد، على إعداد الفيلم، كانوا هناك، بما في ذلك المنتج الذي سبق أن التقيته قبل بضع سنوات عندما جاء «بيل

بوروز» بصحبته من لندن. كان الحديث مرهقاً؛ لأن حفلاً بالغ الصخب كان يجري في القاعة لتنشيط جماعة كبيرة من السيّاح، كثيري الجَلَبة. طرح «بيرتولوتشي» مشكل (الموسيقى المصاحبة). كان ينوي دعوة «دافيد بيرن- David Byrne»[1] للقيام بالمهمة، لكنه ذكر- أيضاً- اسم «ريتشارد هوروويتز- Horowitz»[2]، بل اقترح، في لحظة ما، أن أتكلَّف أنا بنصيب من موسيقى «شاي في الصحراء». لم نناقش، جدّيّاً، هذا الأمر. وأنا أعتقد أنه يفضِّل الأنغام الإلكترونية على الموسيقى السامفونية؛ فهي عمليةٌ أكثر، وأقلّ كلفة، ولا تتطلَّب توليفات لحنية ولا تدريبات. ولاحظ «سكارفيوتي- Scarfiotti» [3] أنه يحبِّذ تصوير المشهد الأخير، الذي يجري في الجنوب، في أَغدِزْ[4]. آمل أن يكون ذلك ممكناً، وألّا يحاولوا تصوير الفيلم كلّه، في المغرب. إنني أتفهَّم لماذا لا يريدون الاتِّصال بالسلطات الجزائرية، لكن المغرب لا يمكن- قطعاً- أن يكون بديلاً للجزائر أو للنيجر.

30 يونيو

فريق تلفزي فرنسي، جاء أمس لإجراء حوار معي. لا شيء يستحقّ الذكر. ذهبنا إلى «سيدي اعْمار»، وهناك، صوَّروا مشهداً طويلاً أمام البحر. يحدث، أحياناً، أن أشاهد شريط فيديو لهذه الأفلام، لكن ليس دائماً.

---

(1) موسيقي أميركي، معروف بتأليفه لأغاني فرقة «Talking Heads»، من مواليد سنة 1952.

(2) مؤلِّف أميركي لموسيقى الأفلام. وُلِد في نيويورك، سنة 1949.

(3) «فيرديناندو سكارفيوتي»، مدير فنّي، ومُعِدّ ديكورات الأفلام. اشتغل مع «بيرتولوتشي» في فيلم «شاي في الصحراء».

(4) من أهمّ مدن شمال النيجر، وتُعَدّ عاصمة للطوارق.

تكون النتيجة، دوماً، مخيِّبة للظنّ، فالشريط يكون- عادةً- باللونين: الأبيض، والأسود.

5 يوليوز (يوليو/تموز)

تناولت غدائي، أمس، مع «غافان يونغ»، واصطحبت معي عبد الوهاب. بعد ذلك، احتسينا شاياً بالنعناع، في الحديقة. وعندما مددت ذراعي لأخذ وسادة، كانت ملقاة على العشب، لاحظت وجود حشرة مهتاجة فوق الوسادة، فقال عبد الوهاب:

- لا تقتلها، أرجوك.

بعد ذلك قال غافان:

- هل صرت بوذيّاً؟

استقبلت اليوم، في منتصف النهار، «ريكي سوزوكي» الذي أعطاني نسخة من مجموعتي القصصية التي نشَرَتها «شينشوشا» في طوكيو. كالعادة، وجدت نفسي غير مرتاح، وهو ما يحدث لي، دوماً، في حضور يابانيِّيْن؛ ذلك أنه من بالغ الصعوبة أن تحدس فيما يفكرون به، أو أن أدرك إلى أيّ حَدّ يكون تصرُّفي معهم غير لائق- على الأقلّ- بحسب معاييرهم. فهل يشيرون إليَّ (عندما يهزّون رؤوسهم) بأنهم يوافقون، أم الأمر عكس ذلك؟

17 يوليوز

هذا الصباح، وصل مغربيّ، قادماً من هولندا، مبعوثاً من طرف «روبير بريات». لم أفهم جيِّداً، ما يريده مني. أعرف أنه يريد تصوير فيلم. لكن، بما أنه عازم على السفر، عاجلاً، إلى الولايات المتِّحدة، فأنا لا أتوقَّع أن ينجز فيلمه في مستقبل قريب. لقد حرص على أن نذهب إلى مقهى «الحافة»، فأخذَنا عبد الوهاب وصهره بالسيّارة، وتركانا هناك.

مغربي آخر، جاء هذا الزوال، وهو يعمل أستاذاً في جامعة «ليموج»، في فرنسا. لم يقمّ بأيّ شيء لإخفاء نواياه، إذ أخرج، للتوّ، آلة تسجيل.

19 يوليوز

دعانا «غافان» (عبد الوهاب وأنا)، اليوم، لتناول طعام الغذاء معه. إنه على أهبة السفر إلى إنجلترا، لكنه يعتزم العودة في أكتوبر. وحينها، سيشرح لي المزيد عن تعيينه في منصب رئيس في شركة «Samoa»، وهي الوظيفة التي يأمل الشروع فيها بداية فصل الشتاء القادم. لقد اقترح عليَّ الذهاب لزيارته هناك، عندما يتسلَّم منصبه المهمّ، لكنه يعرف أنني سوف لن أفعل.

21 يوليوز

ثلاثة مغاربة يأتون، حالياً، بانتظام، لاستجوابي في البيت: مْحاند، والرَّايس، والفقيه العوامي. عندما جاء الرايس- لأوَّل مرّة- أهداني باقة ورد وقالب سكر، قائلاً، وهو يسلِّمني القالب:

- أنت تعرف معنى هذا التقليد عندنا؟

حرَّكت رأسي بالإيجاب، لكنني لم أكن صادقاً.

ما زلت أجهل، تماماً، معنى ذلك، ويبدو لي أن لا أحد بقادر على شرح مدلول ذلك التقليد.

الفقيه العوامي، أستاذ في جامعة «ليموج»، وقد هَيَّأ أسئلة لطرحها عليّ.

25 يوليوز

أمس، رافقني كلٌّ من فيليب، وكرايزي كيت، ورودريغو، وليديا بريدا[1] لحضور حفل زفاف عبد الوهاب. حفلة صاخبة، فيها أكثر من مئة مدعوّ: موسيقى الراي المصمّة للآذان جعلت كلّ حديث شبه مستحيل، والرقص يكاد يكون إجبارياً. وحدهم الرجال والأطفال، كانوا يرقصون في حركة مزوبعة عنيفة، طيلة ساعات، دون أن يشعروا- بحسب الظاهر- بأيّ تعب. أمّا الفتيات فاكتفين بالنظر، وهنّ جالسات في صفوف طويلة.

27 يوليوز

روى لي عبد الوهاب أن أسرة زوجته جاءت تطالب أبوَيْه بمعاينة غطاء سرير العرس، وعليه بقعة الدم. بعد حفل، تواصل ثمانية وأربعين ساعة

(1) فيلسوفة وناشرة، ابتكرت سلسلة «مكتبة Payot الصغيرة» لدى الناشر «پايوت/ ريفاج»، حيث نجحت في إبراز كتب هامة كانت مهمّة، بالنسيان.

دون نوم، تهاوى الزوجان الجديدان على الفراش متعبَيْن، ثمّ استرجعا حيويَّتهما خلال ساعتين، قبل أن ينادى عليهما لمواصلة الاحتفال، لذا لم تكن على السرير نقطة دم واحدة. صُدم والدا عبد الوهاب للطلب، وعلَّقا قائلَيْن:

- كم هم أناس متخلِّفون!

مع ذلك، وافقا على أن يسلِّما غطاء سرير العرس لعائلة الزوجة، بمجرَّد أن يصير مضرَّجاً بالدم، وهو ما سيحدث لا محالة غداً.

28 يوليوز

أرسلت السيِّدة فاطمة الصُّباح، مساء أمس، سيارة لنقلي، فحضرت «Garden Party» الذي عزف فيه البشير، صحبة فرقة من موسيقيِّي «جهجوكة»، وهم مصطفّون فوق صخرة هائلة، تشرف على حوض السباحة. وعندما كان المدعوُّون يخترقون الممرّ المؤدّي إلى الحديقة، لاحظوا وجود صف مؤلَّف من عشرة من الخدم، عليهم ملابس الخدمة، وقد وقفوا هناك، لاستقبالهم. أمّا الأميرة فقد ظلَّت متوارية عن الأنظار؛ الأمر الذي جعل «دافيد هربرت»[1] يُصدَم لهذا الغياب، فهتف قائلاً:

- لن أتصرَّف، أبداً، على هذا النحو.

قبل ذلك، أخرجت الأميرة، ونحن داخل البيت، سلهاماً جميلاً مصنوعاً

(1) مهندس ديكور، وكاتب، وعالم جماليات، وُلِد في إنجلترا، سنة 1908، وتوفِّي في طنجة، سنة 1995.

من وبر الإبل، هو المقابل الكويتي للجلباب، وطلبت مني التلفُّع به، حيث كانت تعرف أنني سريع التأثُّر بالبرد، خاصّة أن الحديقة التي توجد على شفا جرف يشرف على المحيط، كانت تكتسحها، في الغالب، زوابع عنيفة صادرة عن ريح قاسية البرودة. رحَّبت بالسلهام، وقضيت بعض الوقت مرتدياً إياه، وقد التقط لي «سوامي لاڤال»، خلال ذلك، صوراً وأنا ممدَّد على الصخرة، عند أقدام الموسيقيين.

بدون ذلك السلهام المصنوع من وبر الإبل، كنت سأصاب حتماً بنزلة برد. وعندما ودَّعتُ السيدة فاطمة، أصرَّتْ على أن أحتفظ بالسلهام؛ إذ كان- بحسب رأيها- مناسباً لي، تماماً.

30 يوليوز

«آل يارمولينسكي»[1]، أحيوا حفل «جيلالة»، مساء أمس، في «فيلا جولي». كانت هنالك رقصات خاصّة، من طرف النساء اللواتي بدا بعضهنّ في حالة جذبة، وإن كنت في ريب من ذلك (أرملة المجذوبي كانت فاتنة، على نحو خاصّ). (الكسكس) كان ممتازاً، وكان من حظّي أني طعمته وأنا في الداخل، حيث كان هناك ناموس في الحديقة. لقد أمتعنا عبد الواحد كثيراً، حين دعانا لركوب حافلة كبيرة، تتَّسع لحوالي سبعين شخصاً. اصطنع هيئة مهرِّج عابث، فيما كان يقودنا إلى قمّة الجبل، قبل الانحدار منه، بدون فرامل، طبعاً. تساءل «فيليب»، قلقاً، عمّا إذا كان الفتى سيلقي

(1) بنجامان يارمولينسكي، وهو ملحِّن أميركي، وواضع موسيقى فيلم «44 أو حكايات الليل»، (1984)، للمخرج مومن السميحي.

بنا في وهدة، لكن عبد الواحد يعرف، جيِّداً، ما يفعل، وقد قادنا إلى البيت سالمين.

1 غشت (أغسطس/آب)

تناولنا العشاء أمس، لدى عبد الوهاب، بحضور زوجته الجديدة. وخلال ذلك، شاهدنا (فيليب، وكرايزي كيت، ورودريغو، وليديا وأنا) تسجيلَيْ فيديو عن «بول بوبز»: أحدهما هو الفيلم الذي كان «غاري كونكلان–Gary Conklin» [1] قد أخرجه، وعُرض، مؤخَّراً، في التلفزة الفرنسية، والثاني جزء من برنامج «ex-libris»، وهو أقلّ أهمِّيّةً من سابقه. شاهدنا، كذلك، مَشاهد لا متناهية من حفل زفاف الأسبوع الماضي. العشاء كان جيِّداً، وانصرفنا، بعد أن وافق عبد الواحد على المجيء للجلوس في المنزل، رغم خصامه مع عبد الوهاب. الوداعات تطاولت، وكانت مفعمة بالانفعال. الزوجان الجديدان سيسافران، غداً، إلى هولاندا. سأشتاق إلى عبد الوهاب, فعلاً.

2 غشت

هذا المساء، ذهبت لتناول العشاء في مطعم «Marquis» مع «غولدستون». كان المطبخ أقلّ جودةً من المعتاد. «غولد ستون» يريد من محمَّد المرابط

(1) مخرج ومنتج سينمائي أميركي، أخرج فيلماً وثائقياً، عن «پول پولز»، بعنوان «پول پولز في المغرب»، (1970).

أن يقوم باستشارة طبيب للقلب، في مسألة إجراء فحص عامّ، معبِّراً عن حرصه على دفع مصاريف الاستشارة الطبِّية.

4 غشت

دعاني «غافان» لتناول الغذاء، معه ومع وكيل أعماله «جيلون آيتكن-Gillon Aitken» [1] في مدينة «أصيلة»، حيث حجز لدى مطعم «غارسيا» (وكانت السيدتان: آيتكن، وآنَّا ماكهاف حاضرتَيْن إلى جانب أحمد الميموني). اعتقد «آيتكن» أن بإمكانه إقناعي بترك وكالة «وليام موريس»[2]، والالتحاق بــ«أندرو ويلي- Andrew Wylie»[3]، شريك «آيتكن» في نيويورك. كان «ويلي» قد اتَّصل بي سابقاً، في بداية العام، مقترحاً عليّ أن أتَّخذه وكيلاً لأعمالي، لكن «نيد ليفيث- Ned Leavitt» [4] نصحني بالعدول عن ذلك، فقرَّرت، حينها، البقاء لدى «وليام موريس». كنت جالساً وسط صخب مطعم «غارسيا» (حيث لم أتناول سوى عجّة بيض، باردة) فتمكَّن «آيتكن» من إقناعي، وقرَّرت تغيير وكيل أعمالي، بعد اثنتين وأربعين سنة، قضيتها لدى «وليام موريس». لم يكتف «آيتكن» بذلك، بل قال لي إنه من العبث أن يكون لديك مُنفِّذ أدبي «exécuteur

(1) وكيل أعمال عدد من كبار الكتّاب: جون فولز، ونورمان مايلر، وفيليب روث، ودون دي ليلو، وسوزان سونتاغ، وسلمان رشدي.

(2) أُحدثت سنة 1898، وهي تمثِّل مصالح الممثِّلين والموسيقيِّين والكتّاب والفنّانين، إزاء شركات الإنتاج الفني. توجد مقارّاتها في نيويورك، وميامي ولندن، وشنغهاي.

(3) وكيل أدبي وناشر أميركي، أسَّس سنة 1980«The Wylie Agency» التي يوجد مقرّها في كلٍّ من لندن، ونيويورك.

(4) صاحب وكالة أعمال في نيويورك.

littéraire» دون وكيل أعمال، يأخذ مصالحك مأخذ الجدّ.

«أصيلة»، مدينة نظيفة بصورة مدهشة. عشيَّة المهرجان الفني الذي ينظَّم في شهر غشت، لاحظت أمراً، لم أعاينه في أيّ مكان آخر: مرمدات من الفخّار موضوعة على الأرصفة. هناك منظِّفون في كلّ النواحي يجمعون مِزق الورق أو البلاستيك (رئيس المجلس البلدي للمدينة هو وزير الثقافة، في الرباط)[1].

7 غشت

ذهبت مساءَ أمس، لحضور حفل العشاء السنوي «Callaway» في مطعم «Marquis». لحم البقر المشوي لم يكن ليِّناً، إلى حَدّ ما، لكنه أفضل ممّا يمكن توقُّعه في طنجة، حيث لحوم العجل عَفِنة، في كافّة الأحوال.

12 غشت

سأكون مرغماً على التراجع عمّا قلته في يوم الاثنين (الماضي)، فيما يتَّصل بلحم العجل في طنجة؛ فقد أقام «فيليب»، مساء أمس، حفل عشاء في مطعم، لم يسبق لي أن طعمتُ فيه شيئاً، هو مطعم L'Osso Bucco. طلبت شريحة (فو- فيلي) فوجدتها لذيذة، وكان بإمكاني أن أعتبرها جيِّدة، في باريس أو نيويورك. لا أفهم كيف تمكَّن هذا المطعم من العثور على لحم عجل عالي الجودة، بينما لحم العجل في أماكن أخرى، يكاد يتعذَّر

(1) محمّد بنعيسى.

أكله. كانت «خيريس» موجودة، أيضاً. وفيما كنّا نتناول العشاء، جاء البشير دون توقُّع منّا، وانضمَّ إلى مائدتنا، لكنه لم يتبادل مع «خيريس» أيّ حديث.

15 غشت

يزورني (مغاربتي) كلّ يوم، بحيث أجد صعوبة في تذكُّر ماذا يريده مني كلّ واحد منهم. الفقيه العوامي هو مَن أَجِدُ ترضيته صعبة؛ نظراً لتوفُّره، دوماً، على لائحة أسئلة، يريد طرحها عليّ. سمعت أمس مساءً، قرع طبول، ليس دفوف عاشوراء، وإنما طبول ذات إيقاعات متنوِّعة. بدا لي أن الأمر يتعلَّق برقصة أحواش[1]. وبما أني لم أشاهد هذه الرقصة في غير الأطلس الكبير والأطلس المتوسِّط، فقد فكَّرت في أن سمعي- ربَّما- أخذ يخدعني. بيد أني عندما فتحت نافذة غرفتي وأصغيت إلى الأغاني التي تهيمن على قرع الطبول، تلاشت كافّة شكوكي. كانت هناك- فعلاً- رقصة أحواش، في الشارع، بالقرب من المدرسة. خرجت مستعجلاً، فوجدت حوالي ثلاثين رجلاً، يرتدون جلابيب تقليدية بيضاء، وكلّ واحد منهم علَّق خنجره، وهم يرقصون في صفّ طويل، وكان ضاربو الطبل الثمانية مقرفصين أمامهم. تصوَّرت أنني أوجد في «تافراوت». مكثت هناك، لا أتململ، حوالي الساعة، وأنا مسحور منبهر، إلى أن غادروا الساحة. إثر ذلك، سألت شرطياً كان متّكئاً على البوابة: كيف حدث أن جاءت هذه الفرقة إلى طنجة؟ فأجابني:

(1) رقصة مع أناشيد أمازيغية، من جبال الأطلس، يشترك فيها الذكور والإناث.

- الرئيس الأميركي هو مَنْ أحضرهم إلى هنا.

- هل تقصد الحكومة؟

- أنت تعرف جيِّداً، أنه الرئيس وحده مَنْ لديه قصر في «مرشان».

لايمكن أن يكون سوى «مالكولم فوربس». لقد دعيت إلى العشاء الذي يقام يوم التاسع عشر من هذا الشهر، لذا فكَّرت: «استقدام هؤلاء الموسيقيِّين، من الجنوب البعيد إلى هنا، فكرة ذكيّة». كانت هناك تسع حافلات كبيرة مركونة عند مدخل المدرسة، وهو ما يعني أن مئات الراقصين والمنشدين قد حلّوا في طنجة.

16 غشت

عدت إلى مشاهدة الموسيقيين والراقصين، مساء أمس، لكني وصلت متأخِّراً جدّاً، فلم أجد سوى بضعة شبّان يرقصون. كانوا يحسنون الرقص إلى حَدّ ما، لكنهم- بحسب رأيي- لم يكونوا محترفين.

17 غشت

جاءت «خيريس»، صحبة البشير، لزيارتي، مساء أمس. كانا يريدان الذهاب معي إلى المدرسة. هذه المرّة، وجدنا حشداً من مئتَيْ (أو ثلاثمئة) رجل، يرقصون مع حوالي خمسين امرأة. كان العرض رائعاً. رأيت- أيضاً- فرقة «هوّارة» المدهشة. التقينا، بعد ذلك، بالبشير، صحبة نسوته اللواتي

يرقصن على أنغام الكدرة[1]. وكان البشير عمل في «كوليمين»، حيث التقى «بشارة»، وتحدَّث إليها عقب التداريب. اقترحت علينا «بشارة» احتساء شاي معها، في غرفة بالطابق العلوي، مخصَّصة لراقصات الكدرة. وعندما رأتني، ادّعت أنها تتذكَّرني، مع أني لا أرى كيف أمكنها ذلك، حيث التقيتها، لآخر مرّة، سنة 1962، في كواليس مسرح «نيويوركي» (كانت «كاترين دونهام– Katherine Dunham»[2] قد أحضرتها، هي وحوالي ثلاثين مغربية، للظهور في حفلها الموسيقي سيِّئ الذكر، الذي لم يتمّ عرضه سوى مرَّتين). لقد سجَّلت لها في «كوليمين»، سنة 1959، لكنها لا تتذكَّر تلك الأمسيّة، ولاشكّ. على أيّة حال، تَمَّ استقبالنا بحسب قواعد الضيافة التقليدية المغربية. بضع راقصات دسسن أيديهنّ داخل صدورهنّ، وأخرجن من ملابسهنّ حفنات من دمًى فضِّية، عمد كلّ من «خيريس» والبشير إلى اقتنائها. وعند انصرافنا، أعاد البشير على مسامعي ما قالته المرأة له، قبل هنيهة:

«بما أنه أميركي يعيش في طنجة، فيجب أن يكون له مال كثير. هل هو متزوِّج؟».

واتَّفقنا معاً على العودة للِّقاء بها، مجدَّداً، هذا المساء.

---

(1) رقصة من منطقة الصحراء، جنوب المغرب، تمارسها النساء على إيقاع آلات عزف تقليدية.

(2) راقصة أميركية شهيرة، من أب إفريقي وأمّ كندية، ومؤسِّسة فرقة رقص، وُلِدت في شيكاغو، سنة 1909، وتوفِّيت سنة 2006، عن سنّ تناهز 93 عاماً.

سيرة المترجم

إبراهيم الخطيب

- من مواليد تطوان. سنة 1945.

- أستاذ جامعي، كاتب ومترجم.

- درس في المغرب (تطوان، فاس، الرباط)، وفي بلجيكا (غاند)

- ينشر أبحاثاً ومقالات عن الأدب المغربي، والأدب الأميركي اللاتيني، والأدب الإسباني، في صحف ومجلّات مغربية، وعربية، وأجنبية.

- عضو في اتِّحاد كُتّاب المغرب، منذ 1968.

- شارك في ندوات أدبية وفكرية، في المغرب وتونس ومصر والعراق وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا.

صدر له من الترجمات:

- «نظرية المنهج الشكلي»، (دار الأبحاث العربية للنشر، بيروت)، 1982 .

- «مورفولوجية الخرافة»، (الناشرون المتِّحدون، الرباط)، 1986.

- «النقد والحقيقة»، (الناشرون المتَّحدون، الرباط)، 1985.

- «المرايا والمتاهات»، (توبقال- الدار البيضاء)، 1987.

- «البستان»، (توبقال- الدار البيضاء)، 1992.

- «الدنوّ من المعتصم»، (منشورات نجمة- الدار البيضاء)، 1993.

- «الأربعينية»، (دار الفنك- الدار البيضاء)، 1994.

- «أسابيع الحديقة»، (دار الفنك- الدار البيضاء)، 2000.

- «حصار الحصارات»، (توبقال- الدار البيضاء)، 2000.

- «مديح العتمة»، (توبقال الدار- البيضاء)، 2001.

صدر له من المؤلَّفات:

- «پول پولز في المغرب: أقنعة الكتابة» (الموجة- الرباط) 1996.

- «پول پولز: التخييل والمثاقفة» (منشورات اتِّحاد كتاب المغرب- الرباط)، 2003.

له قيد الطبع:

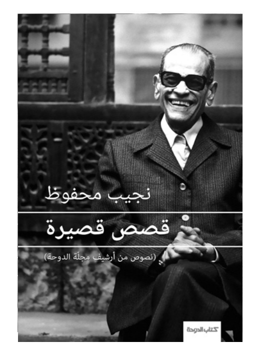
- «التهامي الوزّاني: حفريّات في حياته وأدبه» (منشورات تطاون أسمير).

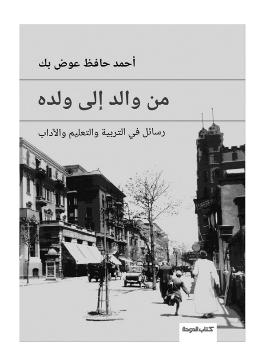
صدر من سلسلة كتاب الدوحة

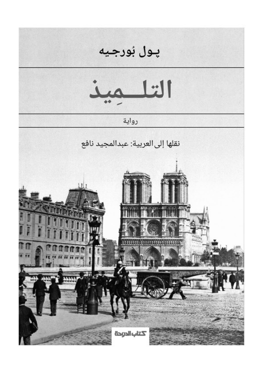
1	طبائع الاستبداد	عبد الرحمن الكواكبي
2	برقوق نيسان	غسان كنفاني
3	الأئمة الأربعة	سليمان فياض
4	الفصول الأربعة	عمر فاخوري
5	الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام	علي عبدالرازق
6	شروط النهضة	مالك بن نبيّ
7	صلاح جاهين - أمير شعراء العامية	محمد بغدادي
8	نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب	أبو القاسم الشابي
9	حرّيّة الفكر وأبطالها في التاريخ	سلامة موسى
10	الغربال	ميخائيل نعيمة
11	الإسلام بين العلم والمدنية	الشيخ محمد عبده
12	أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته	بدر شاكر السياب
--	فتنة الحكاية جون أبديك - سينثيا أوزيك - جيل ماكوركل - باتريشيا هامبل	ترجمة: غادة حلواني
13	امرأتنا في الشريعة والمجتمع	الطاهر حداد
14	الشيخان	طه حسين
15	ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية	محمود درويش
16	يوميات نائب في الأرياف	توفيق الحكيم
17	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد
18	عبقرية الصدّيق	عباس محمود العقاد
19	رحلتان إلى اليابان	علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ
20	لطائف السمر في سكان الزُّهرة والقمر أو (الغاية في البداءة والنهاية)	ميخائيل الصقال
21	ثورة الأدب	د. محمد حسين هيكل
22	في مديح الحدود	ريجيس دوبريه
23	الكتابات السياسية	الإمام محمد عبده
24	نحو فكر مغاير	عبد الكبير الخطيبي
25	تاريخ علم الأدب	روحي الخالدي
26	عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
27	أصوات الضمير	خمسون قصيدة من الشعر العالمي
28	مرايا يحيى حقي	يحيى حقي
29	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد
30	عبدالله العروي من التاريخ إلى الحب	حوار أجراه محمد الداهي
31	فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربيّة	
32	عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد)	ترجمة: شرف الدين شكري
33	سِراج الرُّعاة (حوارات مع كُتاب عالميّين)	خالد النجار
34	مقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه)	ترجمة: مصطفى صفوان
35	عن سيرتَي ابن بطوطة وابن خلدون	د.بنسالم حِمّيش

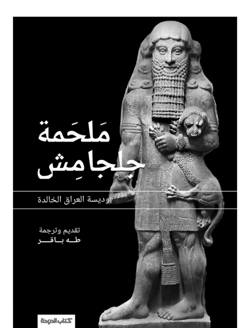
69	مريود	الطيب صالح
37	الإصبع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي	ميشال سار
38	محمد إقبال - مختارات شعرية	محمد إقبال
39	تزفيتان تودوروف (تأمُّلات في الحضارة، والديموقراطية، والغيرية)	ترجمة: محمد الجرطي
40	نماذج بشرية	أحمد رضا حوحو
41	الشرق الفنان	د.زكي نجيب محمود
42	تشيخوف - رسائل إلي العائلة	ترجمة: ياسر شعبان
43	إلياس أبو شبكة "العصفور الصغير"	مختارات شعرية
44	لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟	الأمير شكيب أرسلان
45	مختارات من الأدب السوداني	علي المك
46	رحلة إلى أوروبا	جُرجي زيدان
47	المُعتمدُ بنُ عبَّاد في سنواته الأخيرة بالأسر	د.عبدالدين حمروش
48	تاريخ الفنون وأشهر الصور	سلامة موسى
49	من أجل المسلمين	إيدوي بلينيل - ترجمة: عبداللطيف القرشي
50	زِينة المعنى (الكتابة ، الخط ، الزخرفة)	يوسف ذَنّون
51	الواسطة في معرفة أحوال مالطة	أحمد فارس الشدياق
52	النخبة الفكرية والانشقاق (تحوُّلات الصفوة العارفة في المجتمع العربي الحديث)	د. مُحسن الموسوي
53	ياسمينة وقصص أخرى	إيزابيل إيبرهاردت
54	آباي (كتاب الأقوال)	ترجمة وتقديم: بوداود عمير
55	مأساة واق الواق	ترجمة: عبدالسلام الغرياني
56	بين الجزْر والمدّ (صفحات في اللغة والآداب والفنّ والحضارة)	محمد محمود الزبيري
57	ظلّ الذّاكرة (حوارات ونصوص من أرشيف «الدوحة»)	مي زيادة
58	الرحلة الفنّية إلى الديار المصرية (1932) تحقيق: رشيد العفاقي	قسم التحرير «مجلّة الدوحة»
59	قيصر وكليوبترا	أليكسي شوتان -تعريب: عبد الكريم أبو علو
60	الصين وفنون الإسلام	إسماعيل مظهر
61	براعمُ الأمل (مُختارات شِعْريّة للكاتب الصيني وانغ جو جن)	ترجمة: مي عاشور
62	التّوت المُرّ	محمد العروسي المطوي
63	درب الغريب	غونار إيكليوف
64	من والد إلى ولده	أحمد حافظ بك
65	التلــــميذ	بول بُورجيه
66	ملحَمة جلجامِش	تقديم وترجمة: طه باقر
67	أريجُ الزّهر	الشيخ مصطفى الغلاييني
68	اعترافات إنسان	محمّد فريد سيالة
69	مريود	الطيب صالح
70	قصص قصيرة	نجيب محفوظ

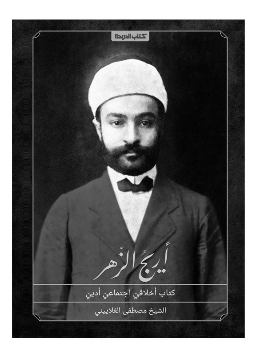
صدر في سلسلة كتاب الدوحة

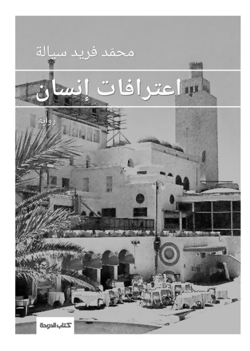












يمكنكم تصفح النسخة الإلكترونية من كافة إصدارات السلسلة
على موقع مجلّة الدوحة الإلكتروني www.aldohamagazine.com

يوميّات طنجة



7 يونيو

وصل بعض تقنيِّي «B.B.C» مسبقاً، لتصوير «جاغر» عند نزوله من الطـائرة. فكـّرت: يبقى ذلك رهـيناً بمجـيئه إلى طـنجة. رئيـس الفــريق يبدو مقـتنـعاً بأن «جـــاغر» قادم ، لا محالة.

8 يونيو

بدت قناعات كلّ واحد منا وقد انهارت؛ إذ رفض الجمركيون السماح بدخول تجهيزات «B.B.C». ضجّة كبيرة، ومكالمات هاتفية لا حصر لها، مع لندن. وكيل أعمال فرقة الـ(ستونز) هدَّد: إذا لم تمرّ الآليّات، بالجمارك، قبل التاسعة من صباح غد، فسألغي العقد. «خيريس» جاءت هذا المساء، وهي تلهث من القلق، قائلة:

- يجب أن تكلِّم الملك (وهي تدري أنني لم ألتقِ به قطّ، وحتى لو كان الأمر خلاف هذا، فلن أهاتفه).

إثر ذلك، صرَّحتْ بأنها زارت للّا فاطمة الزهرة، في منتصف النهار، فقيل لها أن تهاتفها فيما بعد. عقب ذلك، وجَّهت نظرها إليّ قائلةً:

- لكنك تعرف للّا فاطمة الزهرة.. هاتِفْها، وقل لها إنه من بالغ الأهمِّيَّة، بالنسبة إلى المغرب، أن تقوم «B.B.C» بتصوير الحفل.

